إبتسامات
جحا الحكيم الساخر

بقلـــم
محمد إسماعيل الجاويش

العلم والإيمان للنشر والتوزيع

الناشر: مكتبة العلم والإيمان
ميدان المحطة - ش الشركات - دسوق - كفر الشيخ
تليفون: ٥٥٠٣٤١ فاكس: ٥٦٠٢٨١
رقم الإيداع: ٢٠٠٤/١٠٥٢١ م
الترقيم الدولي: I.S.B.N 977-308-016-1
تصميم الغلاف: أحمد أمين
جمع وإخراج: خميس الشيهي
بمكتبة العلم والإيمان للنشر والتوزيع

مقدمة

عاش أبو الغصن دجين بن ثابت الفزارى فى العقد السادس من القرن الهجرى الأول ، وقضى الشطر الأكبر من حياته فى مدينة الكوفة بالعراق، ويجمع مؤرخو سيرته على تميزه بالعقل الراجح والذكاء النادر والبديهة الحاضرة والخبرة العميقة بنفوس الناس وبالحياة، مما جعله يستعين بمواهبه المتعددة فى مواجهة المواقف التى تعترض حياته، فكان أسلوب مواجهته لها يمثل زاداً فنياً ونفسياً يدعو إلى الضحك والابتسام، وقد يدعو إلى السخرية والدعابة، ولكنه يمثل أيضاً الفطنة والحكمة ، حتى ليبدو وكأنه وسيلة من وسائل الدفاع عن الغايات القومية والمثل العليا للجماعة، والتمرد على الانحراف الذى قد يبدو فى سلوك البعض أفراداً أو حكاماً، والدعوة إلى السخرية ممنً يسيئون إلى قيم المجتمع ومثله، فكانت مواقفه ونوادره بلسماً شافيا، تغرس البسمة عند المرارة، والأمل عند اليأس، وصارت تأملات فى الحياة والأحياء، صاغها فى شكل فنىّ متميز، هو الحكايات المرحة ، والنوادر اللطيفة، حيث صارت تجسد الخبرة فى الحياة ، وتحقق المتعة الفنية، إذ ترسم البسمة على الشفاه ، وتحقق البهجة فى القلوب .

ولقد صار جحا فى وجدان أمتنا رمزاً ، ولذلك أضفت عليه ونسبت إليه كل المواقف التى تتفق مع النسق أو النموذج الذى أثر عنه. فهو رافض لكل ما يرفضه المجتمع من سلوكيات، متمرد على كل انحراف متطلع إلى

كل المثل الكريمة، وهو قادر على أن يسخر ويتهكم، وقادر على أن يعلن عن موقفه فى فصاحة ولباقة، ولذلك نراه يطارد النماذج السيئة فى الحياة، إنه يطارد اللصوص، ويواجه قسوة الحكام ، ويرفض ظلم القضاة، وهو أيضاً يعلّم من يحتاج إلى تعلم .

وإذا لم يكن جحا كذلك ، فهذه هى الصورة التى ارتضاها له وجدان أمتنا، بحيث صارت نوادره قادرة على أن تفيد سامعه من حيث تمتعه ، وقادرة على أن تمتعه من حيث تفيده، وسنصحب هذا المثل المستقر فى وجدان أمتنا فى مواقفه المختلفة ، ونوادره اللطيفة لنجد المتعة ، كما نجد الفائدة، ونرجو لك الاثنتين .

المؤلف

الفصـل الأول

جحـا الحكيم

يعلّم ولده

أراد جحا أن يعلم ولده كيف يتعامل مع الناس فيعمل ما يعتقدُ أنه الحق ، ولا يهتم بكلامهم فركب حماره وجعل ابنه يمشي خلفه، ومرُّوا أمام جماعة فقالوا :

انظروا إلى هذا الرجل الذي خلا قلبه من الشفقة، يركب هو ويتركُ ابنه يمشي، فنزل جحا ومشى وأركب ابنه، ومرّوا على جماعة ، فقالوا :

انظروا إلى هذا الغلام المجرَّد من الأدب يركب الحمار ويترك أباه يمشي.

فركب جحا هو وابنه على ظهر الحمار وسارا، فمرَّا بجماعة فقالوا:

انظروا إلى هذا الرجل القاسي يركب هو وابنه ولا يرفقان بالحمار، فنزل جحا وابنه وساقا الحمار ومشيا خلفه، فمرًّا بجماعة فقالوا :

انظروا إلى هذين المغفلين يتعبان من المشي وأمامهما الحمار .

وبعد أن جاوزهم حمل جحا وابنه الحمار وسارا به حتى مرًّا بجماعة فضحكوا منهما وقالوا:

انظروا إلى هذين المجنونين يحملان الحمار بدلاً من أن يحملهما،

فقال ابن حجا لأبيه :

يجب يا أبي أن نرمي الحمار في البحر حتى نستريح من لوم الناس.

فقال جحا :

ولو فعلنا ذلك أيضاً لأتهمنا الناس بالجنون، فأنت لن تسلم من لوم الناس علي أي حالٍ ، ولن تستطيع أن تظفر برضاهم جميعاً مهما فعلت يا بُني ، لأن لكل منهم رأياً خاصاً ينبع من هواه، فافعل ما تعتقد أنه الحق ويرضي الله .

هدية

ذات يوم ذهب جحا ومعه قصيدة شعر إلى حاكم البلدة ومدحه بها، ولم يستحسنها الحاكم فأهداه بردعة حمار، فوضعها جحا على كتفه وخرج، فقابلته زوجة الحاكم وسألته :

ما هذا الذي تضعه على كَتِفِك يا جحا ؟

فقال : يا مولاتى مدحتُ مولانا الحاكم بأفخر أشعاري فأهداني أفخر ملابسه .

أمنية

لازمه رجل ثقيل الظّل ، يزوره في الصباح ويزوره في المساء ، وجحا يتمنى ألا يراه ، وذات يوم سأله في سماجة :

ماذا تتمنّى من الله يا جحا ؟
فقال جحا على الفور : أمنيتي الوحيدة ألا أرى وجوه الثقلاء.

سخرية

وذات يوم شكا إليه هذا الرجل الثقيل قائلاً :
إن الشمس لا تدخل داري
فقال له جحا : وهل تدخل الشمس مزرعتك؟
فقال نعم :
قال جحا : إذن فانقل دارك إلى المزرعة

عند الميت الإجابة

سُئل مرَّة : هل لك أن تخبرنا عن طول الدنيا وكم يبلغ بالذراع ؟
وكان يمرّ في تلك اللحظة من أمامه نعشٌ فأشار إليه جحا وقال :
اسألوا هذا الميت ، فهو الذي ذرع الدنيا بالطول والعرض وتركها للآخرة .

انتشر الجنون

أمره الوالي ذات يوم أن يعد له المجانين في البلدة التي يعيش

فيها، فقال :

الأفضل أن أعد العقلاء لأن ذلك أسهل ، وما سواهم فهم المجانين.

درس

ذهب يستحم في النهر ذات يوم، فنزل وترك ملابسه على الشاطئ فسرقها بعض اللصوص، فعاد إلى بيته عُرياناً، وبعد أيام ذهب إلى النهر ونزل يستحم بملابسه فرآه بعض أصحابه فقالوا له : ما هذا يا جحا ؟ ألا تخشى على ثيابك من البلل ؟

فقال جحا : لأن تبتل عليَّ ثيابي خير من أن تكون جافة على غيري.

حب المال

سأله رجل بخيل : هل تحب المال يا جحا؟

فقال جحا : نعم حتى استغنى عن البخلاء .

المكان الآمن في الجنازة

سأله رجل ذات يوم : أيهما أفضل يا جحا، المشي خلف الجنازة

أم أمامها؟

فقال جحا : لا تكن فى النعش وامش حيثُ شئت .

القبلة الآمنة

كان يسير على شاطئ نهر ، فتقدم منه رجل عابد وسأله : أريد الاستحمام فإلي أي جهة أوجه نظري هل استقبل القبلة أم استدبرها؟

فقال جحا :

وجه نظرك إلى حيث خلعت ملابسك وإلا سرقها اللصوص.

جزاء الإحسان

طلب منه جاره حماره ذات يوم، فأعطاه إياه وقد أثقل الجار على حماره في العمل حتى أتعبه، وبعد أيام عاد الحمار يطلب الحمار فتريث جحا برهة ثم ترك الرجل مدة وعاد إليه فقال :

استشرت الحمار يا عزيزي فلم يرحب ، لأنه يزعم أنك تثقل عليه بالأحمال ، وتضربه ضرباً شديداً، ولا تكتفي بذلك بل تشتم صاحبه .

مَنْ يَماطل الرب يَماطل العبد

عمل جحا بالتجارة ، فاشتغل في بيع الزيتون، وحضرت امرأة

فساومته على الثمن الذي يبيع به، وقالت له :

إن أردت أن تبيع بهذا الثمن فليكن الدفع العام القادم وزوجي فلان.

وناولها جحا زيتونة لتذوقها لتتأكد من جودة الصنف، فاعتذرت قائلة :

إنها صائمة لأنها مرضت منذ عام وأفطرت في شهر رمضان فقال جحا :

انتهى الأمر ، لن أبيع لك، إذا كنت تماطلين الله سنة فأنا أتوقع أن تماطليني إلى يوم القيامة .

درس لصاحبه

كان يكثر في بلدة جحا الرقعاء والمنافقون وتحدث جحا عن ذلك إلى صديقه، فرفض هذا الصديق دعواه، فأراد جحا أن يقنعه بالدليل، فحمل باب منزله بعد أن خلعه وجعله على ظهره ومشى ، وقال لصديقه هيا معي لترى .

وعند منعطف الطريق صاح به صائح من أهل البلدة وهم يضحكون :

ما الذي تحمله على ظهرك يا جحا ؟!

أرأيت هل هؤلاء لا يعرفون ماذا أحمل فوق ظهري ؟!

السقف العابد

سكن جحا في دار قديمة، ذات سقف من خشب فكان يسمع أصوات فرقعة آتية إليه من السقف فاشتكى إلى صاحب الدار فقال له :

لا تخف إنه يسبح الله .

فرد جحا قائلاً : أخشى أن تكثر عبادته فيخر ساجداً فوقي .

درس

سأله أحد جيرانه ذات يوم :

هل عندك خل قديم له أربعون سنة؟

قال جحا :

أجل عندي .

فقال الجار : أرجوك أعطني منه قليلاً

فقال جحا : لا أستطيع

فقال الجار : ولماذا يا جحا ؟

قال جحا : لو أجبتك إلى طلبك وأجبتُ غيرك وغيرك فهل يبقى خل قديم له أربعون سنة.

رد على سفيه

رآه رجل وهو يبذر حباً فأراد أن يسخر به فقال :

يا جحا إنك تزرع وتحصد ونحن نأكل ثمرة تعبك .

فقال له جحا : صدقت فإني أزرع حب برسيم .

مَنْ الذي يقود

وذات يوم دفع جحا اللجام من فك حماره فجمح به ولم يستطع أن يمسك زمامه ، فانطلق على غير هدى، فاستسلم جحا إذ لم يكن له هدف إلا المحافظة على حياته من الخطر.

فرآه أناس وقال له أحدهم :

إلى أين يا جحا؟

فقال جحا :

إلى حيث يريد الحمار يا سيدي مادمنا قد رضينا أن نعيش بعقل الحمير .

الحزن ... على الحمار

كان جحا يتألم كثيراً لما يشاهده من نفاق الناس من حوله ، حيث يوجد فرق كبير بين أقوالهم وأفعالهم .

وتصادف أن ماتت زوجته وكانت تتعبه كثيراً ، فلم يزرف عليها دمعة واحدة، ثم مات حماره فأخذ يبكي عليه بكاءً متواصلاً، وأقبل الناس على جحا يسألونه وهم في عجب من أمره :

ما هذا يا جحا الذي أنت فيه ؟؟ ماتت زوجتك فما بكيت عليها قطومات حمارك فأنت في بكاء دائم عليه ؟

قال : وما ذنبي أيها الناس، لما ماتت زوجتى أقبل هذا يقول إن ابنتى يمكن أن تكون خير زوجة لك ، وأقبل هذا يقول إن ابنتي خير عوض لك عن زوجتك ، وإني أزفها دون مقابل، ثم مات حمارى فلم أجد أحداً من الناس يقول لي سأعوضك عنه بشئ.

فخجل الناس وانصرفوا وقد عرفوا أن جحا يهاجم نفاقهم .

الاحتـــرام .. لمـــن ؟؟

دعى جحا إلى وليمة ، فذهب إليها لكن في ثياب قديمة، فلم يعره القوم التفاتاً ، فعاد مسرعاً إلى منزله ولبس ثياباً حسنة وركب بغلة وعاد إلى الوليمة فتلقاه الناس باهتمام وإكرام ، وأجلسوه في صدر المجلس ، فلما أحضروا الطعام أرخى كمه عليه ووضعه في الطبق وهو يقول : كل يا كُميَّ.

فتعجب الحاضرون لفعله ، لكنه بادرهم قائلاً : إن احترامكم كان لملابسي وليس لي ، فهي أحق بالأكل مني .

الشهرة الذائفة

ورث جحا عن أبيه داراً فسيحة، يحيط بها بستان كبير تروّيه ساقية يديرها ثور عزيز عليه لأنه رباه صغيراً، ولما صار كبيراً كان يضرب به المثل في القوة .

وتمضى الأيام هنيئة بجحا، لكن يأتي زمان يحل فيه بجحا ضائقة يضطر معها إلى أن يبيع البستان، لكنه تمسك بالساقية وبالثور يدور فيها، وبدلاً من أن تذهب المياه إلي البستان ابتكر طريقة تجعلها تعود إلى بئر الساقية ثم تخرج المياه من الساقية لتعود إليها مرة ثانية، وتعجب الناس من سلوك جحا فسألوه : ما الفائدة من دوران الساقية وخروج الماء وعودته إلى البئر فقال «يكفيني صوت الساقية» فعاد أصدقاؤه يسألونه : إنك يا جحا حريص على أن تعلمنا بحكمتك ، فما هدفك اليوم ؟

فقال : إني أضرب مثلاً لمن يريد أن يتمسك بالشهرة الذائفة .

هذه ... بتلك

اتفق أصدقاؤه على أنه لو استطاع أن يبيت ليله في العراء في فصل الشتاء فإنهم يقيمون له مأدبةً، على ألا يتدفأ بنار، فإن لم يستطع لزمه أن يقيم لهم مأدبة، فوافق جحا .

وسهر الليلة في العراء ، وحين اشتد البرد راح ينقل بعض

الأحجار من موضع لآخر ليدفئ نفسه وفي الصباح أقبل عليه أصدقاؤه وسألوه : كيف استطعت أن تتحمل البرد ؟

فقال مازحاً كعادته :

إني رأيت شعاعاً من الضوء على بعد ميل فاستدفأت به .

فصاحوا جميعاً بخبث في نفس واحد :

لقد نقضت الشرط يا جحا ووجب عليك أن تقيم المأدبة.

وعبثاً حاول أن يقنعهم فلم يصدقوه، واتفقوا على موعد المأدبة وذهبوا إليه في اليوم المحدد، وانتظروا الغذاء ومضى الظهر وجاء العصر ولم يقدم لهم الطعام فقالوا له لماذا تأخرت بالغذاء ؟

فقال : تعالوا لأريكم أنه لم ينضج بعد، فقاموا معه إلى ساحة البيت فرأوه قد علق قدراً في أعلى النخلة ووضع على الأرض مصباحاً صغيراً فصاحوا به :

هل يعقل أن ينضج الطعام بهذا المصباح الصغير من هذه المسافة بينهما ؟

فقال جحا :

ما أسرع نسيانكم، منذ ثلاثة أيام زعمتم أنّي قد تدفأت بشعاع على مسافة ميل، واليوم تنكرون أن يغلي القدر وينضج الطعام على مسافة أمتار من شعاع المصباح .

يُعلم الناس الحكمة

أين الحق ؟

قيل له :

أين مكان الحق ؟ فقال :

وهل هناك مكان يخلو من وجود الحق حتى يعين موضعه

قدر ما يعطي

وقيل له :

إذا طلب منك إنسان شيئاً فلماذا لا تعطيه إياه إلا في اليوم التالي؟ فقال :

أفعل ذلك حتى يعرف قدر ما أعطيه .

الطب والحكمة

سألوه عن الطب فقال :

خلاصة الحكمة هي أن تدفئ رجليك، وتعرض رأسك للهواء والشمس، وتعني بطعامك ، ولا تكثر منه، ولا تفكر في همومك وأحزانك

قدرة الله

وسألوه يوماً عن القدرة الإلهية فقال :

منذ عرفت نفسي أن ما قضاه الله واقع ، ولولا ذلك لكان لي بعض ما أتمناه

كتمان السر

وسألوه يوماً :

هل تعرف أحداً في البلد يحفظ الأسرار فقال :

حيث إني علمت أن صدور الخلق ليست مستودعاً فلم أبح بسري لأحد حتى الآن .

كيف يكون التوكل على الله ؟

أصيبت ناقة أحد الفلاحين بالجرب، فأخذها إلى جحا وقال له :

اقرأ لي على هذه الناقة لتشفى، فقال جحا :

إذا أردت أن تبرأ ناقتك من الجرب فأضف إلى قراءتي شيئاً من القطران.

القناعة

وسئل يوماً ، وكان جالساً عند حاكم بلدته :

هل صحيح أن القناعة كنز لا يفنى

قال :

أجل ، ولكنه كنز لا يطعم جائعاً ولا يكسو عارياً، وهو لا يوجد إلا عند الذين لا يجدون .

الفصل الثانى

جحا الظريف

عـمـره يتنـاقـص

سألوا جحا يوماً :

كم عمرك؟

فقال : أربعون عاماً

وبعد مضى عشرة أعوام سئل أيضاً عن عمره فقال :

عمري أربعون عاماً، فقالوا له :

إننا سألناك منذ عشر سنين فقلت إنه أربعون، والآن تقول إنه أربعون.

فقال : أنا رجل لا أغير كلامي ولا أرجع عنه ، وهذا شأن الرجل الحر ، ولو سألتموني بعد عشرين سنة فسيكون أيضاً هكذا لا يتغير .

زمـن الـصبـا

أراد يوماً أن يركب حصاناً، وقفز لكنه لم يستطع أن يركبه، فقال :

آه على زمن الصبا، ثم نظر حوله فلم ير أحداً فقال :

الحقيقة أنني لم أكن في زمن الصبا أفضل مما أنا الآن .

حين وقع عن بغلته

وذات يوم كان راكباً بغلته، فوقع وعلقت رجله بالركاب، سارت البغلة وهو معلق بها، فرآه الصبيان وصاحوا:

جحا وقع من فوق بغلته

فقال لهم :

لا تضحكوا أيها الفتيان فإنني قبل أن أركب كنت أريد أن أنزل .

حين ركب مقلوباً

وكان مسافراً ذات يوم مع جماعة، فنزلوا يستريحون بعض الوقت، ولمّا أرادوا استئناف السير وضع رجله اليُمنى في الركاب وقفز ليركب فجاء ركوبه مقلوباً، فضحك منه إخوانه ، فقال :

ما لكم تضحكون إن البغلة هي الى جعلت أمامها خلفها ، وخلفها أمامها

وحين برّ يمينه

وضاع حماره فأقسم أنه إذا وجده فسوف يبيعه بدينار

فلما وجده أحضر قطاً وربطه بحبل، وربط الحبل في رقبة الحمار وأخرجهما إلى السوق وكان ينادي :

من يشتري حمراً بدينار، وقطاً بعشرة دنانير

لكن لن أبيعهما إلا معا .

أحذيتهم في بطونهم

اجتمع جماعة من الخبثاء واتفقوا على أن يورطوا جحا في مأدبة عشاء ، ولما أحس جحا إصرارهم وافق على أن يستضيفهم.

فلما حضروا إلى بيته، وجلسوا بعد أن خلعوا نعالهم، تركهم جحا جالسين على المائدة، وخرج فجمع أحذيتهم وأسرع بها إلي السوق وباعها واشترى بثمنها طعاماً لهم .

وبعد أن تناولوا عشاءهم خرجوا يبحثون عن أحذيتهم استعداداً للتوجه إلي منازلهم، وأطالوا البحث فلم يجدوها فاجتمعوا إليه يسألونه عنها فقال :

أحذيتكم في بطونكم

في ثياب الحداد

اشترى مرة رداءً أسود ولبسه، فقابله صديق له وسأله عمّن مات من أهله وأصحابه ، فقال جحا :

هل كل من يلبس ملابس سوداء يكون قد مات له قريب ؟

فقال الصديق : ذلك هو المعروف عند الناس

فقال جحا : إذا كان الأمر كذلك فإني ألبس الأسود حزناً على وفاة والد ابني

ولمّا ذهب إلي المنزل وجد إحدى دجاجاته قد ماتت وتركت فراريج

صغاراً ، فأخذ جحا أشرطة سوداء وربط رؤوس الفراريج ، فقيل له :

لماذا تفعل ذلك ؟

فقال : حزناً على المرحومة أمهم ، وهم يتقبلون العزاء .

مع رجل مغرور

ادّعى أحد الناس أنه لا يستطيع أن يخدعه أحد أو يغشه ، فذهب إليه جحا وقال له :

أنت تزْعم أنه لا يستطيع أحد خداعك أو غشك ؟

فقال الرجل بغرور شديد : نعم

فقال جحا :

ولكن حضرت إليك لأتحداك وأريك أني أستطيع أن أخدعك وأظهر للناس غباوتك

فقال الرجل :

لا أحد يستطيعُ ذلك ، وإن استطعت أنت فافعل

فقال جحا : أتراهنني على ذلك

قال الرجل نعم أراهنك

فقال جحا :

إن ذلك لا يكون إلا في الخلاء ، فتعال بنا إلي هناك وأنا أريك كيف يكون الخداع،

فوافقه الرجل وذهب مع جحا إلى الخلاء وكان الهواء شديداً والسماء

تكاد تمطر ، فلما بعداً عن البلد رأي جحا رجلاً يركب حماراً ، فقال لصاحبه :

إنى لا أستطيع أن أخدعك إلا أمام جمع من الناس ليحكموا بيننا، فانتظر هنا حتى أحضر الناس حالاً، ووافق الرجل ، فركب جحا الحمار خلف الرجل ، وذهب إلي بيته وجلس يتدفأ وظل الرجل واقفاً في الهواء العاصف، والبرد الشديد والمطر المنهمر، مدة طويلة حتى ملّ الوقوف، وأصيب بالبرد، فلما طالت غيبة جحا، وهجم الليل رجع الرجل إلى البلدة يسب ويلعن ، وذهب إلى جحا يلومه فقال له جحا :

هذا هو الخداع يا سيدي الذكى، عد إلى حال سبيلك، وإياك أن تدعى أنه لا يستطيع أحد أن يخدعك

حينما يفشر

أراد جحا أن يبالغ في كلامه ، كما تعود أن يفعل بعض جيرانه، فقال له أحد أصدقائه :

إذا لاحظتُ في كلامك مبالغة شديدة فسأنبهك إلى هذا بقولي «احم»

وفي يوم جلس جحا مع بعض الناس فقال لهم :

إني بنيت مسجداً في البلد طوله ألف متر فقال صديقه : «احم»

فسكت جحا، لكن بعض الناس سألوه : وكم عرضه ؟

فقال جحا : متر واحد

فتعجّب الناس وقالوا : لماذا جعلته ضيقاً جداً ؟

فالتفت إلى صديقه وقال :

(الله يضيقها على من ضيقها علينا)

جحا على المنبر

صعد المنبر يوماً فقال :

أيها الناس : هل تعلمون ما أقول لكم ؟

فقالوا لا، قال : حيث إنكم لا تعلمون ما أقول لكم فلا فائدة للوعظ في الجهّال ، ونزل من فوق المنبر

ثم صعد يوماً آخر وقال :

أيها الناس هل تعلمون ما أقول لكم ؟

قالوا : نعم ، قال حيث إنكم تعلمون فلا فائدة في إعادته ثانية، ونزل من فوق المنبر

فاتفقوا على أن يقول جماعة منهم (نعم) وجماعة (لا) في المرة القادمة،

فلما صعد على المنبر وقال :

أيها الناس هل تعلمون ما أقول لكم ؟

قال بعضهم (نعم) وقال بعضم (لا) .

فقال لهم : على الذين يعلمون أن يعلموا الذين لا يعلمون ،ثم نزل.

ذو الكـرامـات

ادعى جحا مرة أنه صار ولياً من أولياء الله الصالحين

وصـار ينتشـر ذلك بين الناس، فكانت وفـودهـم تأتـي إليـه من كل البلاد لترى وليّ الله الصالح ملتمسة البركة، وكان بعضـهم يأتي للتأكد من ذلك لأنهم كانوا في شك من أمره .

وفي مرة سأله جماعة منهم :

تزعم أنك ولي من أولياء الله، فما كرامتك ؟

فأجاب : إني أعرف ما في قلوبكم .

قالوا : قل

قال : إن في قلوبكم كلكم إنى كذاب

قالوا : صدقت .

وجاءت إليه جماعة أخرى تسأله :

ما كرامتك ؟

فقال : إني آمرُ كل شجرة فتجئ لي وتطيعني .

فقالوا :قل لهذه النخلة أن تجئ إليك .

فقال : تعالي أيتها النخلة ، فلم تجئ، فكرر ذلك ثلاث مرات ، ثم قام ومشي إليها فقالوا له : إلى أين يا جحا ؟

قال : إن الأنبياء والأولياء ليس عندهم كبر ولا غرور ، فإن لم تجئ النخلة إليّ فأنا أذهب إليها .

وادعى رجل الولاية فتنافس مع جحا في هذا المجال ، والتقيا،

وسأله جحا : هل لك كرامات ؟

فقال الرجل : إنى أطير كل ليلة وأصعد إلى السماء

فقال له جحا :

أما أحسست بشئ ناعم كان يمس وجهك ؟

قال الرجل : أجل أحسستت

فقال جحا :

هذا الذي أحسست هو ذيل حماري الذي أركبه هناك .

قسمة

أراد أحد الحكام أن يوزع تسع وزات على عشرة من شرطته ، واحتار ماذا يفعل ؟

فنصحه بعض حاشيته أن يستشير جحا ، فجاء ووضع الأوز في صف والشرطة في صف مقابل ، وطلب منهم أن يأخذ كل واحد منهم وزة واحدة، ففاز تسعة كلٌ بوزته ، وبقى العاشر، وتقدم إلى جحا يسأله نصيبه : أين وزتى يا جحا ؟

فقال جحا بتمهل :

الوزات كانت أمامك فلماذا لم تأخذها.

حينما ضاع حماره

ضاع حماره فأخذ يفتش عنه ويحمد الله ، فسألوه :

ولماذا تشكر الله ؟

فقال : أشكره لأني لم أكن راكباً على الحمار ، وإلا فلو كنت راكباً لضعت معه .

يشكو حماره

أخذ جحا حماره إلى السوق ذات يوم وأعلن أنه يريد أن يبيعه، فجاء رجل ومدّ يده نحو فمه ليعرف عمره، فعضه الحمار، فجرى الرجل وهو يلعن ويسخط، ثم جاء مشتر آخر وأراد أن يمسك ذيل الحمار فرفسه رفسة شديدة فمشي يسب الحمار ويلعن صاحبه، فتجمع حول الحمار خلق كثيرون ليُشاهدوا ما يحدث، فقال لهم جحا :

أنا لم أحضر الحمار لأبيعه، وإنما جئتُ به ليعلم المسلمون ماذا يصيبني منه .

بُـرجــه

سألوه يوماً : ما برجك ؟

فقال : برج التّيس

قالوا : ليس في علم النجوم برج اسمه برج التيس

فقال : لما كنت طفلاً فتحت لي والدتي طالعي فقالوا لها إنه برج الجدي، الآن قد مضي على ذلك أربعون عاماً فلا شك أن الجدي من ذلك الوقت قد صار تيساً .

خصـومـه

حين أوشك جاره على الموت جاءت زوجته إلى جحا تطلب منه أن يأتي كي يلقنه الشهادة

فقال لها : ابحثي عن غيري يلقنه ، فأنت تعرفين أنه كان يكثر من المشاجرة معي، فهو لن يسمع كلامي .

ديك وسط الدجاج

أراد أن يمزح معه بعض الشباب ، فدعوه إلى الشاطئ واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم بيضة ، حتى إذا خلعوا ثيابهم ، وجحا معهم قالوا لبعضهم : تعالوا يبيض كل واحد منا بيضة، ومن لا يبيض فعليه

أن ينفق ما نحتاج إليه في نزهتنا، فجلسوا جميعا وراحوا يقلدون صوت الدجاجة حين تبيض، وما هي إلا برهة حتى رفع كل منهم بيده بيضة، فلما رأهم جحا على هذه الحالة أدرك ما دبروه من المكيدة، فقام بينهم يصيح كما يصيح الديك ، فقال الشباب :

ماذ تفعل ؟

قال : أنا ديككم ، وهل رأيتم دجاجاً بلا ديك ؟

رحمة

جلست امرأته تغسل ثيابها على الشاطئ ، فانقض غراب واختطف لوح الصابون، وذهب طائراً في الفضاء، فصاحت امرأته :

قم الحق الغراب .. لقد سرق الصابون وجعلت تكثر من الصياح، فقال لها زوجها :

لماذا كل هذا الحزن ، ألم تنظري إلي الغراب وتشاهدين شكله، إنه أحق منا بالصابون لأن ثيابه أو سخ من ثيابنا .

مع حلاق

حلق مرّة عند حلاق بليد، فجرحه عدة جراح، ووضع عليها قطنا، فتألم جحا ونهض قائماً، فقال له الحلاق :

اجلس حتى أكمل عملي .

فأجابه جحا: كفي فقد زرعت نصف رأسي قطناً ، وأريد أن أزرع النصف الآخر كتاناً .

هو مع الناس

وقع أحد الناس مغشياً عليه ، فظن أهله أنه مات، فغسلوه وكفنوه ، وحملوه على النعش، وساروا به، وفي الطريق تنبه الرجل ، فقعد في النعش وصاح :

أنا حى لم أمت خلصني يا جحا

فقال جحا: عجباً أأصدقك وأكذب كل هؤلاء المشيعين ؟

عتاب

جاء إليه جاره يطلب حماره، وقد تضايق منه جحا لأنه يطلبه كثيراً، ويحمله ثقلاً، فقال له :

ان ابني ركبه وذهب به إلى السوق، ولم يكمل جحا عبارته حتى نهق الحمار، فقال له الجار :

إن حمارك داخل الدار

فقال له جحا معاتباً : عجباً أتكذبنى وتصدق الحمار!!

الخسارة بالمكسب

أخذ من جاره الطمّاع حلة كبيرة وطبخ فيها، ثم وضع داخلهاحلة صغيرة وأعطاه إياها ، فقال له :

ما هذا يا جحا ؟

قال : هي بنت حلتك ولدتها عندي

فأخذها الرجل مسروراً

ثم طلبها ثانية وخبأها فقال له جاره :

أين الحلة ؟

قال جحا : ماتت وهي تلد ، فقال له :

وهل تموت الحلة ؟

فقال جحا : وهل تلد الحلة ؟ الذي يأخذ المكسب يتحمل الخسارة يا صديقي ؟

المعاملة بالمثل

بينما جحا يطل من نافذة حجرته التي بالدور العلوي إذا به يرى رجلاً يصيح به، فقال جحا :

ماذا تريد ؟ فقال الرجل :

انزل لأكلمك، فنزل جحا مسرعاً ، فقال الرجل :

أنا فقير أعطني حسنة يا سيدي . فاغتاظ جحا منه وقال :

اتبعني ، ودخل جحا منزله والرجل من خلفه ثم صعد إلى أعلا البيت

والرجل يتبعه فلما وصل إلي الطابق العلوى التفت إلى السائل وقال له:

الله يعطيك ، فقال الفقير :

ولم لم تقل ذلك ونحن تحت ؟

رد جحا :

وأنت لماذا أنزلتني ولم تقل لي ما تريد وأنا فوق ؟

الفصل الثالث

جحا مع زوجته



بيت الزَوجيـة

حين عـزم جـحـا على الزواج، أراد أن يجـهـز بيتـه ليكون مـعـداً لاستقبال الزوجة، ولائقاً للحياة الزوجية، فأحضر لذلك نجاراً، وطلب منه أن يجعل خشب السقف في الأرض ويجعل خشب الأرض في السقف .

وسأله النجار عن سبب ذلك ، فقال جحا :

الناس يقـولون إذا تزوج الإنسـان انقلب عـالي البـيت سـافله، وأنا سأتزوج قريباً ولذلك أريد أن يعود كل شئ إلى مكانه الطبيعي .

العُـرس

في الصباح

تزوج جحـا ، اختارت له إحدى الخـاطبات زوجة ولم يرها إلا ليلة زفافها وكانت مفاجأة آلمته كثيراً، إذ اكتشف أنها دميمة الشكل فتقبلها كما تقبَّل مصائب عمره .

وفي الصباح تقدمت إليه عروسه على استحياء وفي دلال ، وقالت له : أرجو أن تخبرني عن أقاربك الرجال، أيهم أظهر أمامه ، وأيهم اختفي منه

فقال لها : أظهري نفسك لكل الناس واختف منيِّ أنا إن شئت .

في الظهر

وكانت حولاء ترى الشئ شيئين ، فلما أراد الغذاء، احضرت رغيفين، فرأتهما أربعة ثم وضع الإناء أمامها، فقالت له ماذا تصنع بإنائين وأربعة أرغفة ؟ يكفي إناء واحد ورغيفين ففرح جحا وقال : يالها من نعمة، أن تري زوجتي القليل كثيراً، وقال في نفسه : بدأ يظهر لزوجتي جوانب حسنة ومزايا جميلة .

وفجأة رمته بالإناء بما فيه من طعام وقالت له : هل أنا فاجرة حتى تأتى برجل آخر معك لينظر ليّ .

فقال يا عزيزتي أبصري كل شئ اثنين إلا زوجك

في المساء

وفي المساء أراد جحا أن يتناول طعام العشاء ، وكان قد أحضر لها ثلاثة أرطال من اللحم وقال : اطبخي، فطبختها وحضرت أمها لزيارتها لتطمئن عليها، فأكلت اللحم مع أمها، ولمّا طلب جحا الطعام قالت له :

إن القط أكل اللحم ، حيث كنت مشغوله بحاجيات البيت، فأمسك جحا القط ووزنه فوجده ثلاث ارطال، فالتفت إليها وقال :

إن كان هذا هو القط فأين اللحم ؟

وإن كان هذا هو اللحم فأين القط ؟

عندما ولدت

تلد بسرعة

بعد ثلاثة أشهر أعلمته أنها سوف تلد، وطلبت أن يأتيها بالقابلة كي تساعدها في الولادة ، فقال لها :

نحن نعرف أن النساء يلدن بعد تسعة أشهر ، فكيف يحدث ذلك ؟

وكيف تلدين ونحن لم نتزوج إلا منذ ثلاثة أشهر ؟

فغضبت وقالت : إن هذا عجيب يا رجل، لقد مضى على زواجك بي ثلاثة أشهر

قال جحا : نعم

قالت : ومضى على زواجي بك ثلاثة أشهر

قال جحا : نعم

قالت : فالمجموع يا عزيزى ستة أشهر، زد عليها ثلاثة شهور مكثها الجنين فيْ بطني، تجد أن الولادة تمت بعد تسعة أشهر يا زوجي العزيز

فقال لها جحا :

بعد أن عرف مغالطتها ولؤمها : عفواً يا عزيزتي فأنا لم أكن أفهم هذا الحساب الدقيق، ولهذا أخطأت .

اسمه سابق

وبعد أن ولدت اجتمعت النساء كي يخترن للمولود اسمه، واقترحت كل امرأة منهن اسماً، فلما سمعهن جحا قال : أقترح أن نسميه (سابقاً).

فقلن له : لماذا يا جحا ؟

فرد عليهن :

لأنه قطع مسافة تسعة أشهر في ثلاثة فقط .

يتعلم بسرعة

وبعد الولادة بثلاثة أيام ، ذهب إلي السوق واشتري لابنه أوراقاً وقلماً ، فقالوا له ما هذا ؟

ما رأينا وليداً يتعلم القراءة والكتاب بعد ثلاثة أيام

فقال جحا : مَنْ يولد بعد ثلاثة أشهر يذهب إلي المدرسة بعد ثلاثة أيام.

لماذا بكت زوجته

سأله جيرانه :

لماذا كانت زوجتك تبكي وتصيح بالأمس يا جحا ؟

فقال لهم : كانت تضع جبتي فوق سطح الدار كي تجف بعد أن

غسلتها فسقطت بها في الشارع .

فسألوه : وهل هذا يجعل امرأتك تبكي وتصيح ؟

فقال : نعم لأني لم أكن في الجبة

يريد موتها

أصابه مرض ، أخذ يشتد حتى ظن أنه هالك ، فقال لزوجته :

البسي أحسن ثيابك وتزيني بأنواع الزينة وتعالي أمامي

فقالت له : كيف أترك خدمتك في مثل هذه الساعة ، وأنت في مرض الموت، هل تظن أنني عدمت الوفاء إلى هذه الدرجة ؟

وهل تعتقد أني جاحدة للمعروف حتى أتزين وأنت تقاسي المرض ؟

فقال لها : مهلاً يا عزيزتي ، إني أرى ملك الموت يحوم حولي، ولعلَّه إذا رآك بتلك الثياب الفاخرة والهيئة الجميلة ، ربما يتركني ويأخذك .

لا يعرفها

تضايق منها ذات مرة ، ولم يعد يطيق تحملها فذهب إلى المحكمة وقال للقاضي إنه عازم على طلاق امرأته .

فقال القاضي : ما اسمها ؟ ومنذ كم سنة تزوجتها ؟

فقال جحا ؟ منذ بضع سنين، ولم تكن بيننا مودة فلم أحدثها، فاسألها عن اسمها واسم أبيها .

يبتعد عنها

وتشاجرا مرة، فقالت له الزوجة، ابتعد عنى، فلبس جحا ملابسه وحذاءه وخرج من البيت، ومشي مسافة طويلة حتى وصل إلى نهاية البلدة، فقابله جار يركب حماره، فقال له جحا :

إذا وصلت بسلامة الله إلى البيت فقل لزوجتى هل تريدين أن يبتعد عنك زوجك أكثر مما أبتعد ؟

امرأة رجل يريدها أن تتزوج

كان جحا كلما نظر إلى زوجته ، ورأي قبح وجهها حزن واغتم، وشعر بالهم، بل أحياناً كان يهَيأ له أنها رجل فيخفي وجهه بيده.

وذات يوم اطلّت الزوجة من النافذة ، فرأت فتاة جميلة تسير في الشارع، فنادت جحا وقالت له :

تعال يا جحا وانظر إلى هذه الفتاة الجميلة ، فنظر جحا إليها وتحسّر على حظه، وقال : آه عندى فكره جميلة :

فقالت الزوجة : ما هي ؟

فقال جحا : ما رأيك أن نتزوجها معاً .

تحـــدي

كثيراً ما كان يظن أنها رجل، بالإضافة إلى أنها كانت سمينة، وذات يوم قذفها بإناء ، فجرت وراءه بالعصا، فهرب منها تحت السرير . فلم تستطع أن تدخل وراءه لضخامة جسمها ، فلما تأكد أنها لن تستطيع الوصول إليه صاح بها من تحت السرير :

إذا كنت رجلاً فعلاً فادخلي هنا .

يــوزع الاختصاصات

ولما بدأت الخلافات تشتد بينهما ، اتفق جحا مع زوجته على توزيع الاختصاصات، فكان عليه أن يعمل في الخارج، ويؤدي المهمات التى خارج المنزل، وهي تؤدي المهمات داخله.

وذات يوم كان في الشارع، فأسرع إليه أحد جيرانه، وقال له أسرع فإن داركم تحترق ، وقد طرقت الباب كثيراً ولم يرد أحد .

فرد عليه جحا ببرود : يا أخي إنني قسمت الأمور بينى وبين زوجتي قسمين أنا على أن اجتهد في الخارج، وهي عليها أن تدير شئون البيت، فاذهب إليها وأخبرها بالحريق ، لأنها هي المختصة بالشئون الداخلية.

داره تعمـــر

وتشاجر معها ذات صباح، وكان ذاهباً للسوق ليبيع حماره، فصار ذاهل الفكر ، مضطرب العقل ولما أخذ الدلال ينادي مشيداً بحماره ، فيقول «إنه سريع المشي متين التركيب ، واسع الخطوة ، لا يشعر راكبه بأي تعب»، أخذ الناس يتزايدون حباً في مزاياه ورغبة في شرائه، وهنا قال جحا في نفسه : لابد أن الحمار فيه هذه الصفات وأنا لا أدري، وفي سرعة اندفع بين المتزايدين وأخذ يتباري معهم في رفع ثمنه، وتوقفوا ، ورسا البيع عليه، فأخرج نقوده من كيسه وعدّ للدلال الثمن، وأخذ حماره بعد أن دفع ثمنه، وعاد إلى البيت .

وفي البيت جلس سعيداً ، يقص على زوجته النبأ فقالت الزوجة : وأنا أقص عليك براعتي اليوم :

لقد حضر تاجر القشرة ، فأعطيته ما عندنا وبينما الرجل يزنها غافلته ووضعت أساوري الذهبية في الكفة التي بها السنج، ليرجح الميزان ، ثم أخذت الوعاء، ودخلت وتركتها في الكفة حتى لا يشعر أني غافلته.

فقال لها زوجها :

بارك الله فيك، أنا أجاهد من الخارج ، وأنت من الداخل وهكذا يعمر البيت

امـرأة لئيمـة

جلس مع زوجتـه يتناولان طعـام العـشـاء وكان من بين الأكل طبق من الشـوربة، وكان شـديد السـخونة شـربت زوجتـه قليلاً منه، فـأحـرق فـمـهـا، ورفعت عيناها، فسألها جحا عن سبب دموعها، فقالت :

تذكرت المرحـومـة أمي فـبكيت، فـتناول جـحـا قليـلاً من الشـوربة، فأحرق فمه، ودمعت عيناه فسألته زوجته :

وأنت لماذا تدمع عيناك الآن ؟

فـقـال لـهـا : أبكى على المرحـومـة أمك التي ولدت لئـيمـة مـثلك ، وتركتها لشقائي .

سـخـريـة

كـان جـحـا يدق في حـائط منزله وتداً ذات يوم، وكـان وراء الحـائط زريبـة ، فـاخـتـرق الحـائط فرأي خـيـلاً وبـغـالاً، فـأراد أن يسـخـر من زوجتـه فأسرع إليها قائلاً :

تعالي وانظري ، فقد وجت كنزاً مملوءاً بالبهائم .

عقـاب اللصــة

وذات يوم خلع قـفطانه، وعلّقـه على المشـجب في منزله، وكـان بالقفطان نقود، فوضعت امرأته يدها في الجيب وسرقت بعض النقود، وجحا نائم لا يشعر بها، وفي الصباح عدّ جحا نقوده فوجدها ناقصة، فعرف أن زوجته سرقتها.

وفي اليوم التالي وضع جحا في جيب قفطانه عقرباً وخلعه، وعلّقه على المشجب، وتظاهر بالنوم وعينه إلى القفطان، فقامت زوجته باحتراس ووضعت يدها في جيب القفطان لسرقة النقود فلسعها العقرب، فصرخت وبكت ، فقام جحا من الفراش وقال : أنا أسف يا زوجتي لقد نسيت اليوم ووضعت في الجيب عقرباً بدل النقود .

اشتـداد الخـلاف

جبته تتدحرج :

حدثت مشاجرة بينه وبين زوجته ذات يوم ، فسأله أحد جيرانه عن سبب الضوضاء التي كانت في منزله، فقال له :

لقد وقع بيني وبين زوجتي خصام ونزاع، فلطمت زوجتي الجبة فوقعت على الأرض، وتدحرجت على السلم فأحدثت جلبة وضوضاء

فقال جاره :

وهل تحدث الجبة كل هذه الضوضاء فقال جحا . يا أخي لا تتشدد في الأمر، فقد كنت أنا داخل الجبة.

مزعجة :

كان جحا يذهب إلى فراشه كي ينام بعد يوم شاق من العمل ، فإذا رأت زوجته منه إرهاقاً، ووجدت لديه رغبة في النوم، كانت حينئذ يحلو لها أن تتحدث معه فتطيل الحديث ، وكان يتضايق لذلك ، لكنه كان عليه أن يتحمل.

وذات ليلة عاد مرهقاً ، وتمدد في فراشه كي ينام فجلست بجواره تحادثه بصوت مرتفع كي تمنعه من النوم، وكان لا يرد عليها فتستمر في الحديث وجحا ساكت متألم، ثم سألته : هل أغلقت الأبواب والنوافذ ومنافذ البيت جميعها قبل مجيئك إلى النوم ؟

فقال لها بضيق : لقد أغلقت كل الأبواب والنوافذ وسددت كل الثقوب إلا ثقباً واحداً، فقالت له لماذا يا زوجي تبقي عليه ألا تخشى اللصوص.

فقال لها : لا استطيع ذلك يا زوجتي لأنه فمك .

تهرب من بيتها

قالوا له يوماً :

إن امرأتك تدور كثيراً

فأجابهم :

لوكان ذلك صحيحاً لكانت حضرت إلى بيتنا

سنها يصغر

رأت جيرانا لهم يحتفلون بعيد ميلاد أحدهم، فذهبت إلي جحا وطلبت منه أن يحتفل بعيد ميلادها الثلاثين، وفي العام التالي طلبت منه أن يحتفل بعيد ميلادها التاسع والعشرين، وفي موعد الاحتفال في العام التالي سألت زوجها ولماذا لا تحتفل بعيد ميلادى هذا العام ؟

فرد عليها : كيف أعرف وأنت في كل عام تصغرين .

مخيفة

أراد يوماً أن يشعل النار في الموقد، فلم يستطع طلع في الحال إلي غرفة زوجته، وأتى بقفطانها، ووضعه على رأسه ونفخ النار.. بف .. بف.. فاشتعلت النار، فقال جحا : يا للعجب حتى النار الموقدة تخاف من زوجتي

تشبه أمها

بينما كانت حماته تغسل ملابسها في النهر ، زلفت قدمها فوقعت فيه وغرقت، وفتش الناس عن الجثة فلم يجدوها، ولما حضر جحا نزل يبحث مع الناس. لكنه بحث عنها عند المنبع فقالوا له :

يا جحا إن الجثة تجرى مع التيار نحو المصب ولا تسير عكسه عند المنبع .

فقال لهم : إن حماتي مشاكسة، ولا تعمل كالناس، فإذا سار الناس يميناً فهي تسير شمالاً، واتركوني أبحث عنها فقد علمتني طريقتها .

وفي النهاية

كره جحا الزوجة والزواج، ومن تزوج وكره نفسه أيضاً

لذلك كان يسير في الشارع وهو يقول للناس :

لعنكم الله ، فقيل له : ما شأنك يا جحا ، كلما لقيت أحداً تقول لعنكم الله فقال :

أجل لعن الله من تزوج قبلي ولم ينصحني، ولعن الله من تزوج بعدي ولم يستشرني



الفصل الرابع

جحا مع الحاكم



تمهيد :

شاءت الظروف أن يلتقى جحا بالحكام، فقد كان الرجل موهوباً ، إذ جمع بين رجاحة العقل وحضور البديهة وحُسن التصرف، وخفة الروح وحلو الحديث، لذا صار مرموق المكانة رفيع المنزلة بين قومه، ومن كان هذا شأنه لابد وأن يعرف الحكام وتصير بينه وبينهم علاقة ، لم يسع جحا تقرباً من الحكام، ذلك أن الحكام في هذا الزمان لم يحكموا بالعدل ، ولم يتصفوا بالرحمة ، ومن هنا كان العقلاء يفضلون أن يبتعدوا عنهم، رغبة في السلامة والأمان ، ذلك أن المقرب من الحاكم لم يكن يأمن تقلب مزاجه أو شدة انفعاله ، ولذا كان للحكام ضحايا كثيرون ، ومن هنا آثر جحا أن يبتعد عنهم ، لكن لم يكن له في الأمر حيلة، ذلك أن مكانته وسمعته جعلته معروفاً لديهم مطلوباً منهم، ولذلك صارت له علاقا بهم، وخلال هذه العلاقة حدثت كثير من المواقف الطريفة التي تدل على شجاعته ولباقته وحبه للعدل ورفضه للظلم، كما تدل أيضاً على حسن تصرفه في المواقف المختلفة.

وكان أول من عرف من الحكام (تيمور لنك)، ثم عرف غيره من حكام الأقاليم

وسوف تقرأ بعضاً عن مواقفه معهم في الصفحات التالية .



مع تيمورلنك

تيمورلنك حاكم مستبد ، وطاغية جبار ، جاء مع الجيش الجبار القادم من بلاد الشرق البعيدة في آسيا (جيش التتار)، ونشر الفزع والرعب بين الناس واستولى على بلاد العرب ، وأعمل في الناس القتل والسلب، وكان يستمتع بكثرة ضحاياه، ويسعد بمناظر الدماء ، وكان يعتقد أن قوته لا يعترف بها الناس إلا إذا خافوه، ولذلك كان يقتل بسبب وبدون سبب ، ويقتل الصغير والكبير ، الرجال والنساء ، فكان رجلاً لا يعرف الرحمة ولا يتأثر قلبه لمنظر الأطفال أو النساء الذين يذبحهم رجاله، ولا يستجيب فؤاده لصرخات الضعفاء من الرجال والنساء ، لذلك صار الناس يخافونه دون أن يروه، ويرتعبون إذا ما ذكر اسمه ، ولقد شاءت الظروف أن يلتقى جحا مع هذا الظالم الجبار زمنا ، ولقد سرَّ من جحا حين حادثه فقربه منه، وسوف نرى بعض المواقف التي عاشها جحا مع هذا الطاغية .

الظالم سيف الله على رقاب العباد

جمع تيمورلنك علماء البلاد ذات يوم وسألهم :

أعادل أنا أم ظالم ؟ فإن أجابوه «إنك عادل» ذبحهم، وإن قالوا «إنك ظالم» قتلهم.

ووقع الناس في حيرة، ماذا يفعلون ؟

وأخيراً ذهبوا إلى جحا وقالوا له :

لن ينقذنا من شر هذا الظالم غيرك ، فانقذ عباد الله من سيف هذا الحاكم الظالم.

لكن جحا رفض أن يلتقي بهذا الرجل الجبار الذي لا يعجبه شئ فلكم قتل من العلماء سواء من قال له أنت عادل ومن قال له أنت ظالم

ولم يشأ أن يغامر بلقائه، ذلك أنه لم يكن يريد أن يعرفه تيمورلنك، لكن أمام الحاح الناس وتوسلهم وافق، وذهب إلى قصر الملك وأعلن أنه قادر على الإجابة على سؤاله .

ولما سئل السؤال الذي يطرحه تيمورلنك وهو أنا عادل أم ظالم؟ رد جحا قائلاً : أنت لست ملكاً عادلاً، ولست باغياً ظالماً ، فالظالمون نحن، وأنت سيف العدل الذي سلطه الواحد القهار على الظالمين.

وهنا ابتسم تيمورلنك إعجاباً بهذا الجواب ، كما سر من شجاعة جحا، ولقد كان ذلك سبباً في نجاة أهل بلده من الإجابة على السؤال، ونجوا أيضاً من العقاب .

وكان هذا اللقاء بداية التعارف بين هذا الحاكم الجبار وبين جحا، وتكونت علاقة استمرت زمناً حتى صار جحا من رجال حاشيته.

الرعب .. يأتي بالعجائب

جلس تيمورلنك ذات يوم في شرفة قصره وأمامه البحيرة ذات الماء الصافي ينعكس على صفحته السماء الزرقاء والاشجار الخضراء ، فبدا في

هذا اليوم راضياً ، وطلب جحا أن يحضر له الطعام، فدخل جحا إلى القصر وعاد حاملاً إلى تيمورلنك أوزة مطبوخة، وكانت ناقصة، ذلك أنه في الطريق رآها جميلة وشم رائحتها فصارت في عينيه أجمل، فغلبت عليه شهوته وأكل منها فخذاً .

ولما رأي السلطان الأوزة ناقصة قال لجحا :

وأين رجلها ؟

وهنا خطرت لجحا فكرة عجيبة ، ذلك أنه لمح الأوز على شاطئ البحيرة كثيراً، وكان يقف على ساق واحدة، فوجه حديثة إلى تيمورلنك قائلاً:

إن جميع أوز هذه المدينة برجل واحدة ، وإن لم تصدقني أنظر إلى الأوز الموجود على ضفتي البحيرة أمامك، وأشار جحا إلى الأوز الذي كان يقف على ساق واحدة، ورفع إحدى رجليه، ويخبيء رأسه في صدره كعادته في بعض الأحيان.

رأى السلطان ذلك وتظاهر بالاقتناع ، لكنه اصدر أمره خفية إلى الموسيقا السلطانية أن تقترب من البحيرة وتضرب ضرباً شديداً ، وحين فعلت أخذ الأوز يركض يمينا وشمالاً خائفاً مذعوراً.

فالتفت تيمورلنك إلى جحا وقال :

كيف تكذب عليّ ، أما ترى أن الأوز يمشي على رجلين ؟

فقال جحا :

ولكنك يا مولانا نسيت أن الرعب يأتي بالعجائب ، فلو أخافوك مثل ما أخافوه لجريت على أربع .

العياذ بالله

وابتسم تيمور لنك لحديث جحا ولم يغضب ، ذلك أنه قد ألفه وتعود أن يبتسم لحديثه ، وقد كان قواده يعجبون كثيراً ، لأنه ابتسم وضحك على غير عادته من قبل، وتعجبوا أكثر لأن جحا يخاطبه بطريقة لا يجرؤ أحدهم أن يفكر في مخاطبته بها.

ورغم ذلك فهو يتقبل حديثه ويرضى عنه، وذات يوم قال لجحا :

يا عزيزي أنت تعرف أن الخلفاء من بني العباس كان كل منهم يختار لنفسه لقباً حين يتسلم الحكم، فمنهم من كان اسمه الموفق بالله، ومنهم من كان اسمه المتوكل على الله، ومنهم من كان اسمه المعتصم بالله، والواثق بالله، هكذا فلو اقترحت يا عزيزي أنه يجب أن اختار لنفسي لقباً فما اللقب الذي تختاره لي ؟

فأجاب جحا على الفور :

يا صحاب الجلالة .. أنا ألقبك العياذ بالله

الطاغية في الآخرة

وفي إحدى مجالس تيمور لنك دار حديث عن عذاب يوم القيامة ، وما ينتظر الكافرين فيه من شقاء

وبينما تيمورلنك ينصت للحديث عن الآخرة ومصائر الناس، ابتدر جحا متسائلاً ...؟:

قل لي يا جحا أين يكون مقامنا في الآخرة ، فقال جحا :

يكون يا مولاي مع الملوك والعظماء الذين خلدوا أسماءهم في التاريخ، فظهر الارتياح على ملامح الملك، ثم سأل جحا مرة ثانية :

مثل من من الملوك يا تُرى ؟

فقال : مثل فرعون موسى، والنمرود وهولاكو وجنكيز خان الذين هم من أمثال جلالتكم .

النهاية

وذات يوم سأله تيمورلنك :

إلى متى يلد الناس ويموتون ؟

فأجابه على الفور :

إلى أن تمتلئ الجنة ثم نظر إليه وقال :

وإلى أن تمتلئ جهنم

ثمن الطاغية

وذات يوم قال له تيمورلنك :

أتستطيع أن تخبرنى كم أساوي من المال يا جحا ؟

وفكر جحا قليلاً ، ثم قال :

لا أظنك تساوي أقل من ألف دينار يامولاي فضحك تيمورلنك

طويلاً حتى استلقى على ظهره ، ثم قال :

إن ملابسي وحدها تساوي ذلك الآلف من الدنانير

فقال جحا إذاً صدق تقديري يا مولاي، فما كنت أقوم فيك إلا هذه الملابس.

ولم يفطن تيمورلنك بهدف جحا، ولم يعرف أنه يقصد أنه لا ثمن له.

منطق الطغاة

أراد تيمورلنك أن يطمئن إلى خضوع الأقاليم فقام بالمرور على بعض البلاد، وفي أول بلدة مرّ به نشب حريق أكل دورها وشتت أهلها فقال تيمور : فلتأكلهم النار جميعاً.

وفي اليوم التالي نزل بقرية أخرى فتصادف أن سقطت دار كبيرة على سكانها فماتوا جميعاً، فضحك تيمورلنك وقال :

لماذا يتركون الدار تسقط عليهم

وفي اليوم الثالث نزل بقرية فوجد أن سيلاً عظيماً من الجبل قد انحدر عليها فجرف بيوتها وأهلك أهلها، فقال تيمور :

ولماذا لم يدفعوا السيل عن أنفسهم

وفي اليوم الرابع نزل بقرية فتصادف أن عِجلاً كان قد انطلق فنطح عدداً كثيراً من الناس فمنهم من بقر بطنه ومنهم من فقأ عينه فلما علم تيمورلنك بذلك قال :

ما أشجع هذا العِجل يجب أن ينضم إلى الجيش

فتقدم جحا إلى تيمورلنك وقال :

يا مولانا السلطان إن طالع السعد يبدو حيث سرتم، وأخشى أن تمتد رحلتكم أكثر من هذا فيكون هذا هلاك العباد وخراب البلاد .

يحمد الله مرتين

كان تيمورلنك يفرح إذا قدم إليه نوع من الفاكهة حين يظهر لأول مرة، فحمل إليه جحا رمانات استحسنها وكافأه عليها .

وطمع جحا في مكافأة أخرى فحمل إليه رءوس لفت ليهديها إليه، فقال له أحد جيرانه :

إن اللفت لا يصلح أن يكون هديه للملوك، لكن جحا صمم على نيل جائزة من تيمور، فنصحه الجار حين رآه مصمماً أن يأخذ تيناً بدل اللفت ، وفعلاً دخل جحا على تيمور بالتين فغضب تيمورلنك ، لأن التين كثير ويملأ الأسواق وهو يرحب بالفاكهة فقط أول ما تظهر، لذلك أمر أن يقذف التين في وجهه تينه بعد تينة.

ووقف جحا يتلقى الضربات على رأسه، وعلى وجهه، وعلى عينيه وأنفه وهو يضحك ثم يرفع يده بالدعاء،

فاشتد عجب تيمور من ضحكه ومن دعائه، فأمر الجند أن يكفوا عن قذفه بالتين حتى يسأله عن السبب

ولما سأله قال جحا :

أنا أحمد الله أولاً ، ثم أدعو للجار الذي نصحني ، إذ لو كان اللفت في موضع هذا التين لتهشم رأسي وانفقأت عيناي ،لذلك أنا أقول الحمد لله لأنه تين .

عندما كاد يُقتل

ركب تيمورلنك حصانه ذات يوم وأخذ يتجول بين الوديان سعيداً بملكه وسلطانه، وبينما هو يسير فوجئ الحصان برجل يخرج فجأة من خلف هضبة مرتفعة، فجفل الحصان وانتفض وألقى تيمورلنك على الأرض ، فتدحرج وسقطت عمامته من فوق رأسه، وراحت تتدحرج وظهر رأسه للناس عارياً، وتلفت تيمور يبحث عن ذلك الرجل الذي جفل منه الحصان ففوجئ به جحا، وفي سورة غضبه أمر بأن يُقتل على الفور، وسلم للسياف لكي يقطع رأسه وسأله السياف :

ألديك ما توصى به قبل الموت؟

نعم لي وصية لا أقولها إلا للسلطان فجيئ به إلي تيمورلنك فسأله:

ماذا تريد ياجحا؟

قال جحا : يا مولاي أنت أمرت بقتلي لأن عمامتك سقطت على الأرض وتدحرجت، لكن هل فكرت فيما سيقول الناس، سيقولون تدحرجت رأس جحا لأن عمامة السلطان تدحرجت، فأي شئ أهون يا مولانا ؟ ولا تنس أنك بذلك تذكر الناس باليوم الذي سقطت فيه عمامتك .

فأمر السلطان أن يخلي سبيله.،ونجا جحا من الموت ، إذ أدرك السلطان أن موت جحا يسبب له متاعب أكثر مما لو بقى حيا .

حيلة للرحيل

أدرك جحا أن البقاء مع تيمورلنك يسبب له الأخطار ولذلك رأي أن من الأصوب أن يرحل عنه، وأدرك أيضاً أنه يمكن أن يقتله، لذلك رأى أن ينتهز الفرصة كي يبعد عنه .

وذات يوم نظر تيمورلنك إلى المرآة فتألم، ذلك لأنه كان دميم الشكل أعور العين بالإضافة إلى أنه كان أعرج، لذلك انقبض صدره وتألم ألماً شديداً، فأخذ وزيره يواسيه بما يخفف عنه الحزن يقول له :

أيها الملك العظيم مثلك لا يهتم بجمال الشكل وحسن الوجه، وإنما يهتم به النساء وأشباه النساء من الرجال أما أنت فقد وهبك الله المجد والسلطان .

فارتاح الملك حين سمع ذلك وابتسم راضياً بعد أن كان حزيناً ، لكنه فوجئ بجحا لا يكف عن البكاء فاتجه إليه قائلاً :

ما خطبك يا جحا ، أنا صاحب المصيبة تسلَّيت وأنت تأبى أن تتسلى فقال جحا :

معذرة يا مولاي إن مصيبتي أكبر من مصيبتك ، أنت نظرت إلى وجهك مرة فحزنت وانقبضت فماذا أصنع أنا الذي أنظر إليك بالليل والنهار مرات عديدة.

حينئذ أدرك تيمورلنك أن جحا سيضايقه ، وأن وجوده صار شيئاً مزعجاً، فسمح له أن يرحل بعيداً عنه .

أخطاء .. لا تمحوها إلا السكين

وفى المدينة الجديدة عاش جحا متمنياً ألاَّ يعرف حاكماً آخر ولكن ذات يوم أمسكوا ابن جحا ذاهباً إلى المدرسة ومعه سكين، فقبضوا على الولد وأحضروا أباه، وأخذوهما إلى الحاكم الذي كان قد أصدر أوامره ألاَّ يحمل الناس سلاحاً ، وسأل جحا الحاكم :

ألا تدري أنني حرّمت حمل الأسلحة ، فكيف يحمل ولدك هذا السلاح في وضح النهار ؟

فقال جحا : إنما حملها ليصلح بها بعض الأخطاء التي يجدها في الكتب

فقال الحاكم : ألا يمكن أن تصلح هذه الأخطاء بغير هذه السكين الكبيرة ؟

فقال جحا :

يا مولاي .. إنه يوجد من الأخطاء ما يجعل هذه السكين صغيرة لإزالته .

حينما شهد الحمار في القضية

أحس جحا أن هذا الحاكم الظالم لا يستحق الحب والولاء، وكان لهذا الحاكم أعداء في المدينة المجاورة فكان يتمنى أن يهزموه وينتصروا عليه، وذات ليلة تسلل في ظلمة الليل راكباً حماره وزار هؤلاء الأعداء،

فوشى به أحد المنافقين من رجال الحاشيه الذين كانوا يكرهون جحا ، وبلغ الحاكم ، لكن جحا أنكر هذه التهمة، فاقترح أحد الحاضرين أن يأخذوا الحمار إلى أول الطريق ، ويطلقوه، فإذا سار إلى حيث الأعداء ثبتت التهمة، فليس أعرف بالطريق من الحمار ، راقت هذه الفكرة للحاكم، فنفذها في الحال.

وخذل الحمار جحا، ذلك أنه وصل إلى مقر حاكم الأعداء، وبذلك ثبتت التهمة على جحا، وكان جحا يعرف أن تهمة التعامل مع الأعداء قطع الرقبة ، لذلك أسرع قائلاً :

هب يا مولاي أنك قتلتني ، ولكن أتدري ماذا يقول الناس عنك ؟

قال الحاكم باستهتار : ماذا يقولون ؟

قال جحا : سيقولون لقد قتل رجلاً بريئاً بشهادة حمار، وليس يعوِّل على شهادة الحمير إلا حمارا.

فعفا عنه الحاكم خوفاً مما سيقوله الناس .

بلاغة الحاكم .. وبلاغة جحا

لما سمع الحاكم كلام جحا أدرك أنه رجل حكيم فطلب منه أن يلازمه، وأن يتردد عليه في مجلسه فاستجاب جحا لما طلب الحاكم ذلك أنه فرح لنجاته من تدبير الوشاة الذي كاد يقضي على حياته، ومن جهة ثانية رأى أن تردده على منزل الحاكم ربما يخيف الوشاة فلا يدبرون ضده الفتن.

وكان هذا الحاكم يدعى أنه شاعر بليغ وكان المنافقون يزينون له ذلك، ويدعون أنه شاعر عظيم، وأن شعره فيه بلاغة وفصاحة ، وذات يوم ألقى قصيدة ، فتقدم الحاضرون يمدحون أبياتها ويدعون أنها غاية فى البلاغة وقمة في الفصاحة، وجحا ساكت لا يتكلم، وهنا سأله الأمير :

ألم تعجبك القصيدة يا جحا ؟ اليست بليغة؟

فقال جحا : الحق يا مولاي أنها ليس بها رائحة البلاغة فثار المنافقون على جحا وغضب الأمير وأمر بحبسه شهراً كاملاً في اسطبل المواشي.

وفي يوم آخر بعد خروجه من السجن أنشد الأمير قصيدة أخرى ، فهب جحا واقفا فسأله الأمير إلى أين يا جحا ؟

فقال جحا : إلى الاسطبل يا مولاي .

مع حاكم آخر

وقرر جحا أن يفارق هذا الحاكم ويغادر المدينة ، لذلك رتب أموره حيث خرج إلى مدينة أخرى ربما يجد فيها أمنا وسلامة، لكن كان حاكم هذه المدينة هو الآخر قاسياً ،ظالماً ، لكنه كان يمتاز أيضاً بالغباء.

وعاش جحا في هذه المدينة الجديدة ولم يحاول أن يتعرف على الحاكم، لأنه كان متأكداً أن ذلك يجر عليه المتاعب .

عقل الأمير

وفي المدنية الجديدة صارت لجحا طاحونة وجلس ذات يوم وقد علق في رقبة الحمار الذي يدور في الطاحونة جرساً، وإذا بالحاكم يمر عليه ويسأله :

لِمَ وضعت الجرس في عنق الحمار ؟

فقال جحا : ربما أدركني النوم فإذا لم أسمع صوت الجرس أعلم أن الحمار قد وقف.

فقال الحاكم : وإذا وقف الحمار وهز رأسه بالجرس هكذا، وأخذ الحاكم يحرك رأسه هنا وهناك مدة طويلة ثم قال لجحا : فماذا تفعل ؟

فقال جحا :

وأين لي بحمار يكون عقله مثل عقل سيدي الأمير .

كي يهضم الحساب

ظن الحاكم أن ما قاله جحا مدحاً له، فاستحسن منه ذلك وعرض عليه مودته، وطلب منه زيارته ، ذلك أن الحاكم اعتقد أن جحا رجل ذكي إذ توصل إلى هذه الحيلة العجيبة، ولم يستطع جحا أن يمتنع ، فكان يتردد كثيراً على مجلس هذا الأمير .

وشاءت الظروف أن يكون هذا العام فيه جفاف شديد بالبلاد، وجاهد مسئول المال أن يدبر المبالغ اللازمة كي يدفعها إلى الحاكم وقدم الرجل إلى الحاكم كشوفاً مسجلاً فيها المال الذي استطاع أن يجمعها من الناس بمشقة بسبب ظروف الجفاف، ولكن الحاكم مزق الكشوف وأمر جنده فضربوه، ثم أجبره الحاكم على آكل هذه الأوراق، وبلعها، ثم صادر أمواله.

وبعد ذلك أمر باحضار جحا لكي يتولى الإشراف على جمع الأموال الأميرية، فحاول جحا أن يعتذر عن قبول المنصب، لكن الحاكم رفض ذلك.

وفي آخر الشهر طلب الحاكم الدفاتر الحسابية من جحا، ففوجئ به يقدمها إليه رقاقاً من خبز قد كتبت عليها الأرقام ، فقال الحاكم :

ما هذا يا جحا ؟

فأجابه : يا سيدي إنك سوف تأمرني ببلعها ، وأنا رجل طاعن في السن لا تستطيع معدتي أن تهضم هذا النوع من الورق .

الجائزة

ولم يغضب الأمير ، وأخذ الرقاق وراح يقرأ ما فيها لكنه فجأة هاج وثار وفار، ذلك أنه وجد حساب القمح والشعير والفول في صحيفة واحدة، فاعتقد الأمير أنه خلط الأصناف في المخزن مثلما خلطها في الورق، واعتقد أنه لم يفصل كل محصول في مكان مخصص له واعتقد بذلك أنه أفسدها ، وأمر بحبس جحا.

وفي السجن تنبه جحا إلى سوء فهم الحاكم فأرسل إليه من الحبس حساب كل صنف منفرداً ، وعلى حده في صحيفة مستقلة، فسرّ الحاكم منه وعفا عنه وقال :

لقد تعبت يا رجل حين فصلت هذا من هذا ، وذا من ذا، وأمر له بجائزة عظيمة.

يجب أن يسود العدل

عاش جحا في بلدة فسدت أمورها، فضاق بأحوالها وضياع العدالة بها، ووجد أنه لابد من المجاهدة بأفكاره الظلم، وأنه لابد من الدعوة إلى إقامة العدل.

فراح ينتقد الأعيان الذين راحوا يصفونه بالجنون، لكن جحا اتجه إلى جماهير الشعب وأخذ يفهمهم أن العدالة حق طبيعي ، وأنها ضرورية للمحافظة على كيان المجتمع، وهنا أدرك السادة خطر جحا عليهم ،

وقرروا طرده من البلد فأخذ جحا حماره ووضع ما لديه من الأثاث عليه، وكانت لديه رحا ثقيلة فوضعها في إحدى الجنبتين ، ووضع الثياب في الجنبة الأخرى ، فاختل توازن الحمار ووقعت الجنبة الثقيلة برحاها إلى الأرض، فعاد مرة أخرى ومرة ثالثة لإعادة الحمل إلى ظهر الحمار، وفي كل مرة كانت الرحى تقع إلى الأرض ، وظل جحا يضع متاعة على حماره فيقع المتاع ، حتى تجمع الناس حوله يضحكون إلى أن مرّ من أمام منزل حاكم البلدة فلما أدرك ما يحدث قال لجحا :

ألا تدري أيها الأحمق كيف تضع حملاً صغيراً على حمارك؟

فقال جحا : أنت تعرف يا سيدي أني لا أعرف شيئاً وأرجو أن تعلمنى ماذا أصنع ؟

فقال الحاكم :

هذا أمر بسيط يعرفه أقل الناس عقلاً فإن الواجب أن تقسم الأشياء بالعدل بين الجنبين ، إذا أردت أن يستقيم الحمْل .

فقال جحا وهو يقهقه :

قلنا هذا قلتم أخرج من البلد

ففطن الحاكم إلى حجة جحا وساعده في الرحيل عن المدينة .

الفصل الخامس

جحا والقضاة



جحا يؤدب اليهودي

وقف جحا في صباح ذات يوم ورفع يديه إلى السماء وراح يقول : اللهم ارزقني ألف دينار، فإن نقص المبلغ فلا أقبله ، فسمعه جاره اليهودي الذي تعجب من قول جحا ، وزاد تعجبه حين سمعه يردد دعاءه في الأيام التالية، وأراد أن يختبره ، فأخذ تسعمائة وتسعة وتسعين ديناراً ووضعها في صرة ورماها من النافذة أمام جحا ، ففرح جحا وقال :

إن ربي أعطاني ما طلبت وأخذ الصرة وعدّ ما فيها فوجدها ناقصة ديناراً ، فقال :

إن الذي أعطاني الكثير لا يبخل عليّ بدينار واحد

ووضعها في صندوق له وهو مسرور، وكان اليهودي يطل عليه من الشباك فاغتاظ وذهب إلى بيت جحا ودق الباب بشدة، ففتح جحا وقال :

ماذا تريد يا كوهين ؟

فقال : هات الصُرةَ التي أخذتها

فقال جحا : إن ربي أعطاني شيئاً وتريد أنت أن تأخذه مني ؟

فقال كوهين : أنا الذي رميت الصُرة لأختبرك هل تقبلها ناقصة أو لا تقبلها، فتشاجرا ، وقال اليهودي : لا أتركك حتى تذهب معي إلى القاضي.

فوافق جحا، لكنه قال : أنا مريض ولا أستطيع المشي وأخاف البرد وليست عندي ملابس ثقيلة أو حذاء ألبسه فأعطني حمارك أركبه، وملابس ثقيلة جديدة وحذاء جيد وأنا أذهب معك إلى القاضي، فأعطاه كوهين ما أراد، وذهبا إلى القاضي : فادعى كوهين أن جحا أخذ منه صُرة نقود فيها ألف دينار إلا دينارا ليختبره ، فسأله القاضي :

هل هذا حقيقة يا جحا ؟

فقال جحا بمكر : وهل هذا كلام معقول يا حضرة القاضي هل يعقل أن كوهين البخيل يرمي تسعمائة وتسعة وتسعين ديناراً إنها نقودي اكتسبتها من عملي، وكوهين يدعي على الناس بالباطل دائما، وهو مشهور بذلك ، وله حوادث كثيرة مع الجيران، وأخشى أن يدعي أيضاً أمامك أن هذه الجبة التي ألبسها وحذائي الجديد ، وحماري القوي الذي جئت به ملك له .

وهنا صاح اليهودي : والله يا سيدي القاضي إن الحمار والجبة والحذاء ملكي

فقال جحا وهو يبتسم : ألم أقل لك يا حضرة القاضي إنه مشهور بالاحتيال على الناس والادعاء عليهم بالباطل.

فقال القاضي لليهودي : حقا إنك مدع وكذاب اخرج وإلا عاقبتك ، فخرج اليهودي باكياً لكن جحا ذهب إليه في بيته وأعاد إليه ماله وحاجياته قائلاً : إياك بعد اليوم أن تتدخل بين الخالق والمخلوق .

الثور المتهم

ذهب جحا إلى قاضي المدينة ، ولم يكن عادلاً فقال له :

إن لمولاي القاضي ثوراً أحمر

قال القاضي : صدقت. فما له ؟

قال : نطح بقرتي البيضاء فشق بطنها وأخرج أمعاءها وقتلها على الفور.

قال القاضي : وما شأني بذلك وأي سلطان لي على الحيوان هل تريد من القاضي أن يعاقب ثوراً ؟

فقال جحا : صبراً يا سيدي وعفواً لقد دفعتني العجلة إلى رواية القصة معكوسة

قال القاضي : ويحك ماذا حدث ؟

قال جحا : أردت أن أقول إن بقرتي البيضاء هي التي نطحت ثور مولاي القاضي فقتلته .

فقال القاضي : ويلك لقد تغير وجه المسألة الآن فأعد عليَّ القصة لأري فيها الرأى من جديد .

جحا ينصر الحق

تناول أحد التجار طعامه في أحد المطعام ، وكان دجاجة وبيضتين واتفق مع صاحب المطعم أن يدفع الحساب عند عودته من سفره، وبعد ثلاثة

أشهر توجه إلى المطعم وطلب حسابه فقال صاحب المطعم : أريد مائة درهم، فصاح التاجر عجباً : كيف أدفع لك مائة درهم ثمناً لدجاجة وبيضتين؟

فقال صاحب المطعم : إن الدجاجة التي أكلتها منذ ثلاثة أشهر لو باضت كل يوم بيضة ثم نامت على البيض لنتج عن ذلك دجاج كثير وبعناه بمئات الدراهم، وطال النقاش واحتدم الخلاف فتوجها إلى قاضي المدينة وفهم التاجر أن القاضي يريد أن ينصر صاحب المطعم، فطلب تأجيل الحكم إلي الغد لأنه عنده حجة يريد أن يقدمها ، فوافق القاضي، واتجه التاجر باحثاً عن جحا ، وقص عليه قصته وطلب نصرته.

وفي الصباح ذهب إلي القاضي وقال له :

إن جحا سيقدم حجتي ، وانتظروا جحا فأبطأ كثيراً ثم حضر ، فصاح فيه القاضي : لماذا تأخرت يا جحا وتركتنا ننتظرك طويلاً ؟

فقال جحا في رفق : لا تغضب يا سيدي فإني حين تأهبت للحضور جاء شريكي في الأرض التي سوف نزرعها قمحاً، وطلب البذور فانتظرت حتى سلقت له مقدار جوالين من القمح كي يبذره في الأرض ، فهذا سبب تأخري .

فصاح القاضي متهكما :

وهل القمح يُسلق يا جحا قبل أن يبذر؟ وهل إذا سلق يا جحا يكون صالحاً للنمو ؟

فقال جحا على الفور :

وهل سمع أحد أن الدجاجة المحمرة والبيض المسلوق يتوالد ويتكاثر ثم يطلب لأجل ذلك من التاجر مائة درهم .

فبهت القاضي وخرج التاجر منصوراً بفضل ذكاء جحا وفطنته .

ينتقم من القاضي

ولم يكتف جحا بنصرة التاجر ، وإنما أراد أن ينتقم من القاضي الظالم الذي لا يحكم بالعدل وسنحت له الفرصة حين رآه وقد خرج إلى المزارع وسكر فخلع جبته وعمامته وألقاهما جنباً، فأسرع جحا واختطف الجبة ولبسها وذهب، وأفاق القاضي، فلم يجد الجبة فكلف الحاجب أن يبحث عن السارق، فوجد الحاجب جحا يلبسها فأخذه إلى القاضي الذي سأله :

من أين أتيت بهذه الجبة ؟

فقال جحا : ذهبت أمس مع بعض اصدقائي إلى المزارع فوجدت رجلاً سكران ملقى علي الأرض في حالة مزرية فأخذت جبته ولبستها، ويمكنني أن أثبت ذلك بشهود وأريك وأري الناس من هو هذا الرجل السكير.

فقال القاضي :

لا نريد معرفة هذا السفيه ، فالبس الجبة كما تشاء ولا شأن لي بصاحبها .

يـؤدب القـاضي

كان جحا ماراً في السوق فجاء رجل من خلفه وصفعه صفعة شديدة، فالتفت إليه وقال :

ما هذا؟ فاعتذر له الصافع بقوله : عفواً يا جحا ظننتك أحد أصحابى الذين لا تكليف بيني وبينهم .

ولم يتركه جحا وإنما رفع الأمر للقاضي وكان القاضي صديقاً للرجل الذي صفع جحا ، ولذلك حكم بأن يكتفي جحا بضرب الرجل كما ضربه، فلم يرض جحا بذلك.

فقال القاضي : ما دمت غير راضى عن هذا الحكم فإنني احكم بأن يدفع لك عشرة دراهم جزاءً نقداً، وقال للرجل :

اذهب واحضر الدراهم ليأخذها جحا وكان يقصد أن يتيح للرجل فرصة الفرار وانتظر جحا عدة ساعات دون أن يحضر الرجل، فأدرك حينئذ أن القاضي خدعه، فنظر ورأي القاضي غائصاً في أشغاله، فاقترب منه برفق دون أن يراه القاضي ثم مد يده مسرعاً وصفع القاضي صفعة قوية وقال :

أيها القاضي أنا مشغول ليس عندي وقت للانتظار فأرجوك أن تأخذ الدراهم متى جاء الرجل لأني مستعجل .

مكـيـدة

أراد جحا أن يسخر من القاضي الفاسد المرتشي فدبّر له مكيدة، إذ كان معه غراب فأوقفه على قرن جاموس، ثم صاح بين الناس :

إن غرابى قد اصطاد جاموساً ، ثم سحبه وذهب به إلى بيته، لكن صاحب الجاموس رفع أمره إلى القاضي مطالباً بإعاة الجاموس إليه، لكن جحا قدّم للقاضي جَرّة سمن رشوة له.

فحكم له بالجاموس، ثم اتضح أن جَرّة السمن التي قدمها جحا مليئة بروث البهائم، فأراد أن ينتقم من جحا وأرسل في طلبه ، لكن جحا فاجأه بقوله :

هل سمعت أن غراباً أعرج يساوي قرشين يصطاد رأس جاموس ثمنه ألف قرش. وكيف حكمت لي به ؟

وعلى أية شريعة بنيت هذا الحكم ؟

فبهت القاضي المرتشي من هذا الكلام ومال من يومها إلى العدل وأبطل الارتشاء وكان جحا سبباً في توبته، وأعاد جحا الجاموس إلى صاحبه.

ومكيدة ثانية

اشتري جحا قطعة أرض وكتب عقد الشراء وأراد التصديق عليه من القاضي، واتخذ كل الوسائل لكنه لم يتمكن من ذلك ، لأن القاضي كان رجلاً مرتشياً ففكر جحا في وسيلة كي يحقق هدفه ودن أن يحصل القاضي الفاسد على شئ، فحمل جَرّة عسل كبيرة للقاضي، وعندما رآها القاضي خرج إلى محل الضيوف وقابل جحا بكل ترحاب وختم العقد وأنهى إجراءات التصديق فتناول جحا العقد وسار بعد أن نظر إلى القاضي نظرة ذات معنى.

وبعد يومين أهدى بعضهم إلى القاضى شيئاً من القشدة ، فأراد أن يأكل القشدة مع العسل، فأسرع إلى الجرة وأدخل فيها الملعقة قاصداً إخراج شئ من العسل فلم يجد غير قطعة من الطين اليابس في أسفل الجرة، ذلك أن جحا ملأ الجرة بالطين ووضع فوق الطين قليلاً من العسل وأوهم القاضي أن الجرة الكبيرة مليئة بالعسل.

غضب القاضي وقال لحاجبه : أسرع وائتني بجحا، فذهب الحاجب إلي جحا وعاد به إلى القاضي الذي قال لجحا بكل احترام :

ياسيدي لقد وقع في تصديق العقد نقص في السبك والربط ، ويريد أخوكم القاضي إصلاحه وإعادته.

فتبسم جحا باستهزاء وقال : ليس في العقد شئ من النقص، وإنما هو في عقل مولانا القاضي.. فأرجو أن يصلحه الله .

الفـرمـــان

قال أحد الأثرياء لجحا : إذا بصقت على وجه فلان - وهو عدو لي - فلك كذا درهم، فوافق جحا على ذلك، وذهب إلى الرجل وبصق في وجهه، فذهب بجحا إلى القاضي الذي يعرف جحا أنه مرتش، ولما سأله القاضي أجاب جحا :

إن لي فرماناً يخول لي الحق في ذلك

فتعجب القاضي من ذلك وقال له :

أرني الفرمان

فدفع إليه جحا كيساً وفيه نصف المبلغ الذي أخذه من الثري ، وما أن أخذ القاضي الدراهم حتى ولى وجهه نحو الشاكي وقال :

حقاً لقد أبرز خصمك «فرماناً» يخول له الحق في أن يبصق على وجهك، وعلى وجوه الناس، بل على وجهي كذلك .

كيف نجا جحا من ظلم القاضي

كان القاضي الفاسد يجول في طرقات المدينة فشم ريح لحم مشوي ينبعث من فرن قريب، فأسالت الرائحة لعابه، فنادي الفرّان، وعرف منه أن بالفرن وزّة مشوية ، فأمره أن يرسلها إلى بيته، وأن يخبر صاحبها أنها طارت بعد أن شواها .

ولمّا حضر صاحب الوزّة وسمع من الفرّان أنها طارت اشتد غضبه

ودبت بينهما مشاجرة اجتمع على أثرها الناس وثاروا عليه واتهموا الفرّان بالسرقة، وضيقوا عليه الخناق فخشي سوء العاقبة واندفع كالمجنون هرباً بحياته.

وحينما همّ أحد الناس الإمساك به لكمه لكمة قوية أطارت إحدى أسنانه، فازدادت ثورة الناس عليه فقفز إلي أحد المساجد وصعد على مئذنته لكن الناس صعدوا خلفه فألقي بنفسه من فوق المئذنة فسقط على أحد الثائرين فمات ونجا الفرّان، وتضاعف سخط الناس عليه فهرب إلى دكان جزار وخطف سكيناً ، وتظاهر بالجنون وتصادف أن كان جحا ماراً راكباً حماره، فأهوى على ذيل الحمار فقطعه، ثم فرّ هارباً إلى دار القاضي، فتجمع الناس حوله، وتظاهرالقاضي بالدهشة وعدم معرفته للفرّان واستمع للقصة فتظاهر بتصديق الفران، واعتبر أن طيران الوزّة بعد شويها دلالة على قدرة الله سبحانة، فثار صاحب الوزّة ، فاتهمه القاضي بالكفر وعدم الإيمان وأمر بتغريمه عشرة دنانير جزاءً له علي مكابرته، ثم التفت القاضي إلى الخصم الثاني الذي سقطت سنُّه، فأمره أن يضرب الفرّان لكمة واحدة على شرط أن تسقط سناً من أسنانه تماثل السن الذي أسقطها له ، وإن عجز فعليه العقاب ففهم الرجال أن القاضي متحامل ظالم لا يريد إقامة العدل ، فتنازل عن حقه، فأمر القاضي بتغريمه عشرة دنانير وجاء دور الخصم الثالث وهو شقيق القتيل فقال القاضي :

إن العيب كان عيب المرحوم أخيك ، إذ لماذا يمر في هذه اللحظة من تحت المئذنة، ومع ذلك فلابد أن تأخذ العدالة مجراها، وعليك أن تصعد فوق المئذنة وتلقي بنفسك فوق الفرّان لتقتله كما قتل أخاك.

فأدرك الرجل مغالطة القاضي وتنازل عن حقه، فأمر القاضي بتغريمه عشرة دنانير لأنه لم ينفذ أمر العدالة.

وهنا جاء دور جحا ورأى ما هاله من أحكام القاضي الظالم فركب حماره وأسرع يريد النجاة من ظلم القاضي، فأدركه القاضي وأوقفه لكن جحا صاح :

هكذا خلق الله حماري بلا ذيل ولا عقل فهل تعترض على قدرة الخالق : هل تكابر أيها القاضي

وهكذا نجا جحا من القاضي الظالم .

عندما صار جحا قاضيا

وإذا كان جحا قد لجأ إلى القضاة يحتكم إليهم راجياً عندهم العدل، فإنه قد لجأ إليه غيره محتكماً إليه، وتحول جحا هو الآخر إلى قاض يقصده الناس طالبين عنده العدل، وله في ذلك مواقف طريفة

ثمن الشواء

تقدم إليه رجلان يدعي أحدهما على صاحبه أنه أكل خبزه على رائحة شوائه ويطالبه بثمن شواء لم يأكله .

فيسأله جحا فيعترف أنه كان جائعاً وشم رائحة الشواء المنبعث فأكل خبزه علي الرائحة .

فيتجه جحا إلى الرجل الآخر ويسأله :

كم ثمن الشواء ؟

فيقول : ربع دينار

فيأخذ جحا من الرجل الآكل ربع دينار ويرمي به على منضدة فيحدث صوتاً ثم يعيده إلى صاحبه ويتجه إلى المدعي قائلاً :

إن رنين المال ثمن كاف لرائحة الشواء .

اللاشيء

ويختصم إليه رجلان آخران يدعي أحدهما أنه ساعد صاحبه في حمل حزمة من الحطب، وقد وعده هذا الصاحب أن يعطيه أجراً

فقال له : وما ذاك الأجر ؟

قال : وعدني أن يعطيني «لاشئ»

فيسأله جحا : وماذا تريد ؟

قال : أريد أن يعطيني هذا «اللاشئ» الذي وعدني به

فقال جحا : ارفع هذه الوسادة أيها الرجل وخبِّرني ماذا ترى تحتها ؟

فقال : لاشئ

حينئذ قال جحا : خذ لاشيئك من تحت الوسادة واذهب لشأنك .

من ذكاء جحا

دخل أحد اللصوص محل جزارة ، وغافل صاحبه وفتح الدرج الذي به النقود وسرق ما وجده من نقود، وتصادف أن كانت قطعاً فضية فلمحه الجزار وأمسك بخناقه وتجمع الناس من حولهما وقرّر الجميع أن يذهبوا إلى القاضي جحا ، وهناك قرّر كل من الرجلين أنه صاحب النقود، وتحير جحا في الحكم بينهما ، لأنه لم يكن في القضية شهود وبعد مدة أمر بإحضار إناء به ماء ساخن ووضع فيه النقود، فظهر على وجه الماء دُهن، فعرف جحا أن النقود ملك للجزار فأعطاها إياها أما اللص فأمر بحبسه .

كيف عرف اللص

نام رجل في الغيط وقد تغطى بجبته، فجاء لص وسرقها، لكن النائم أحس به فاستيقظ وأمسك به وساقه إلى جحا، فلما وقف أمامه ادعى كلاهما أن الجبة له، ولم يستطع أي منهما أن يأتي بشاهد يصدق قوله.

فجلس جحا يفكر في حل للقضية، ثم خطرت بباله فكرة ، إذ أمرهما أن يمسك كل منهما بطرف الجبة وتركهما على هذه الحال مدة طويلة، وتشاغل عنهما بالنظر في بعض الأوراق، وفجأة صاح فيهما : اترك الجبة لصاحبها أيها اللص

فتركها أحد الرجلين فعرف جحا أنه اللص .

الأرغفة الطائرة

وجاءه رجلان ذات يوم يختصمان قال أحدهما :

ذبحت دجاجتي وأعطيتها لهذا الخباز كي يشويها فطمع فيها وأكلها، ثم ادعى أن الدجاجة حين نضجت تحولت إلى أميرة جميلة وطارت من الفرن بجناحيها البيضاوين .

فأطرق جحا ساكتا يفكر ، ثم أعلن أن عليهما أن يحضرا غداً لسماع الحكم، ثم أمر الخباز أن يرسل إليه خمسين رغيفاً .

وفي اليوم التالي حضر الخباز والزبون أمام جحا، فقال موجهاً كلامه للخباز :

كيف تغشني أيها الرجل وترسل إليّ أرغفة مسحورة ، لقد طارت في الجو.

فقال الخباز : وكيف تطير يا سيدي دون أن يكون لها أجنحة ؟

فقال جحا : إن الذي جعل الدجاجة تطير بجناحيهابعد أن تحولت إلى أميرة قادر على أن يُجعل الأرغفة تطير بدون أجنحة . وأمر الخباز أن يعوض صاحب الدجاجة .

عدالة

جاء أحد الماكرين ومعه شخص آخر يختصمان لدى جحا، وتظلم الرجل الماكر فقال أن الشخص الذي معه كان يقوم بقطع الأخشاب وقد ساعدته في عمله ولا يريد أن يدفع أجري .

فسألة جحا : كيف ساعدته ؟

فقال الرجل : بينما كان يقوم بقطع الخشب كنت أقول «هيلا هوب» وظللت أرددها حتى انتهى من القطع، وبهذا سهل عليه عمله .

فقال جحا : وكم تطلب أجراً على صنعك له ؟

فقال : أطلب خمسة دراهم

فـأخـرج جـحـا من كـيس نقـوده خـمـسـة دراهـم ورنهـا ثم قـال للمدعي الماكر :

قد سمعت رنين الدراهم فخذ هذا الرنين فهو أجر قولك .

عندما شهد جحا

قال له أحد الناس : تعال واشـهد عند القاضـي أنني داينت فلاناً مائة أردب من القمح ، وأعطيك عشرين ديناراً .

فاغتاظ جحا من الرجل لكنه تظاهر بالموافقة وأخذ منه المبلغ واتجه معه إلى القاضي

فلما مثلوا بين يديه ادعي الرجل أنه سلف فلاناً مائة أردب قمحاً، فسأله القاضي :

أين شاهدك ؟

فقال الرجل : يشهد لي جحا

فقال القاضي لجحا : أتشهد بذلك ؟

قال جحا : يا سيدي أشـهد أن ذلك الرجل يداين ذلك الشـخص

بمائة أردب من الشعير .

قال القاضي : إنه يدعي قمحاً، وأنت تشهد أنه شعير .

فقال جحا : يا سيدي مادامت الشكوي كذباً في كذب والشهاة زوراً فالشعير والقمح يتساويان،

ففهم القاضي هدف جحا من الشهادة وحكم بالإنصاف .

القاضي يكيل بمكيالين

كان لجحا ثور قوي ، وكان للقاضي ثور أخر قوي وقد تصادف أن التقي الثوران وكانت بينهما مناطحة انتهت بأن قتل ثور جحا ثور القاضي، لكن جحا ذهب إلى القاضي وقال له يا سيادة القاضي :

إن ثورك نطح ثوري فقتله فهل يحق لي دية ؟

فقال القاضي كلا لا يجوز ، لأن المخطئ ثور ولا تجوز محاكمة الثور.

فقال جحا علي الفور :

لكن ثوري هو الذي قتل ثوركم

فالتفت القاضي إلي جحا منزعجاً وقال : هات هذا الكتاب لأنظر فيه حتى أتبين وجه الحق .

الفصل السادس

جحا واللصوص

يصعد الشجرة بحذائه

سمع جحا لصوصاً يريدون سرقة حذاءه، وجلس ينتظر محاولتهم الآثمة، فتقدم أحد اللصوص وقال له : هل تستطيع يا جحا أن تصعد هذه الشجرة العالية :

قال جحا : نعم

فقال لص آخر : إنك لا تستطيع وأنا اتحداك فخلع جحا حذاءه ، ووضعه داخل ملابسه وبدأ يتسلق الشجرة، فقال له :

ولماذا تأخذ حذاءك معك؟ اتركه هنا فلا حاجة لك به فوق الشجرة

فقال جحا : ربما وجدت طريقاً في الشجرة فألبس حذائي وأسير به .

ذهب اللحاف وانتهى الخلاف

سمع ذات ليلة ضوضاء أمام داره ، فأراد أن يعرف سببها ، فقالت له امرأته : نم في فراشك فما يعنينا شئ يحدث خارج دارنا بعد انتصاف الليل، لكنه خرج بعد أن التف بلحافه خوفاً من البرد، ولما خرج ووقف في الزحام غافله لص وخطف اللحاف وولى هارباً، ونظر جحا حوله فلم يتعرف على اللص لشدة الظلام، وبعد مدة أحسَّ جحا بالبرد فعاد إلى المنزل فوجد امرأته تنتظره وسألته عن سبب الضوضاء فقال : ذهب اللحاف وانتهى الخلاف .

اللص في بيته .. ولا يهتم

دخل لص داره ذات ليلة فأصيبت امرأته بالذعر والفزع، وراحت تبحث عن جحا حتي وجدته يجلس هادئاً، فسألته : ألا تري اللص يدور في البيت، فأجابها بكل هدوء :

لا تهتمي به فياليته يجد شيئاً في منزلنا ، فيكون ذلك خيراً لنا، إذ سأتقدم وأخذه منه .

يستحي من اللص

واشتد الفقر بجحا بسبب ما كان يعانيه في دهره من نكبات، ورغم ذلك فقد كان مظهره مظهر من لا يشكو فقراً، ولا فاقة، وحين يشتد الفقر ينشط اللصوص ، وكلما رأوا جحا طمعوا في سرقته ، ذلك أنه كان يحافظ علي منظره ومظهره فيظنه اللصوص يختزن مالاً .

وذات ليلة شعر جُحا بوجود لص في داره ، فقام إلى خزانة فاختبأ فيها، وبحث اللص عن شئ يسرقه فلم يجد شيئاً، ورأي الخزانة، فقال :

لعل فيها شيئاً ففتحها، وكانت مفاجأة عجيبة إذ رأى بداخلها جحا، فارتبك اللص، ولكنه تشجع وقال : ماذا تفعل هنا ياجحا؟

فقال : لاتؤاخذني يا سيدي فإني أعرف أنك لن تجد ما تسرقه، ولهذا اختبأت حياءً منك وخجلاً .

يستحم بملابسه

ذهب مرة ليستحم في النهر ، فنزل وترك ملابسه على الشاطئ فسرقها اللصوص، فعاد إلى منزله عرياناً ، وبعد أيام ذهب إلى النهر ليستحم، لكنه ترك ملابسه هذه المرة عليه، فرآه أصحابه فقالوا له : ما هذا يا جحا ؟

فقال : لأن تبتل ملابسي عليّ خير من أن تكون جافة على غيري .

يحققون معه ويتركون اللص

تحسن حال جحا وتغيرت ظروفه التي كان يقاسي منها، وصار له مال وخيرات كثيرة في بيته ، فزاره اللصوص وسرقوا منزله، واكتشف جحا في الصباح سرقة داره ، ولمّا سمع أهل البلد نبأ السرقة راحوا يسألونه عن الذي جرى، ثم أنهالوا عليه عتاباً وتعنيفاً، أحدهم يسأله : وكيف يحدث هذا وأنت نائم ولا تستيقظ؟ هل كنت في نوم أم في موت؟

وقال الثاني . هَبْ أنك لم تسمع فأين كانت زوجتك؟ ولماذا لم تسمع هي الأخرى ؟

وقال الثالث : إنك مقصر لأنك لم تصنع لباب الدار قفلاً متيناً.

وقال الرابع : لو إنك اقتنيت كلباً قوياً ما استطاع اللصوص أن يقتربوا من الباب

وقال خامس : لابد إنك اقترفت ذنباً فعاقبك الله بسرقة دارك

وهكذا راح الحاضرون يحاسبون جحا على إهماله ويعاتبونه لسرقة داره ، فقال جحا :

يكفي ما سمعت يا أهل العدل والإنصاف، ما سمعت واحداً منكم ذكر اللصوص بكلمة سوء ، هل أنا الجانى الأثيم ، وهم الأبرياء الشرفاء.

يهزم اللصوص

وعاد جحا إلى بيته متألماً لأن اللص سرقه أولاً ، وازداد ألمه ثانياً لأن الناس يحاسبونه ويعنفونه وكأنه هو الجاني، ومنذ أن سرقه اللصوص في هذه المرة فإنه كان يقضي الليل حذراً خوفاً من تكرار ما حدث، ولقد كان ما حدث إليماً لأن اللص اعتدى عليه والناس لم ينصفوه.

وذات ليلة أحس بوقع أقدام لص صعد إلى سطح منزله، فأيقظ زوجته وطلب منها هامساً أن تسأله بصوت مرتفع وتقول له :

كيف جمعت يا جحا كل هذا المال الذي عندنا؟، فلمّا سألته قال بصوت عال : كي يسمعهُ اللص ، لأني كنت في شبابي أسطو على المنازل، وأظل على السطح إلى أن يطلع القمر، فأتعلق بضوئه الذي يتسلل من المنور وأقول «شولم شولم» سبع مرات وأعتنق الضوء وأصعد مستعيناً به ، كما لو كان حبلاً فلا ينتبه أهل البيت، فأجمع ما أريده دون أن يدروا بي .

فلما سمع اللص ما قال جحا اعتقد أنه يستطيع أن يحاكيه ، فلما نفذ ضوء القمر من المنور احتضنه اللص وقال «شولم شولم» فوقع اللص وانكسرت أضلاعه وقام إليه جحا وقبض عليه وسلمه إلى الشرطة حتي يأخذ جزاء فعله .

حيلة ذكية

خرج جحا في سفر، وكان معه كيس به نقود كثيرة ، فخرج عليه لصان، ومع كل منهما سكين كبيرة، وهدداه بأنه إذا لم يسلمهما ما معه من نقود فسوف يقتلانه فقال جحا :

اتركاني لحظة حتي أبلع ريقي وأزيل الخوف الذي أصابني، اجلسا نتفاهم.

فجلس اللصان ، فقال لهما جحا : إن معي نقوداً كثيرة ولكن كنت قد أقسمت ألا أعطي مالي إلا لشخص واحد، فاتفقا فيما بينكما على من يأخذها فقال اللص الأول : أنا الذي آخذها لأنني الذي اكتشفت جحا

فقال الثاني : لكن الكيس حقي، فأنا الذي رأيته أولاً

فقال لهما جحا :

لا تختلفا فإن الخلاف عاقبته الندم، واتفقا بهدوء على من يأخذ النقود منكما ولكن اللصين لم يتفقا، واشتد النزاع بينهما ، لكن الخلاف لم يتطور إلى عراك كما كان يريد جحا وهنا تقدم قائلاً :

أنا أعطي النقود لأعظمكما قوة

فقال اللص الأول : أنا أقوى من زميلي ، وسأكسر رأسه

وقال الثاني : بل أنا الأقوى وسأقتله بضربة واحدة.

فانتهز جحا الفرصة وقال : الآن يبرهن كل منكما على صدق كلامه .

فتضارب اللصان بقوة وعنف وكسر كل منهما رأس الآخر، فوقعا على الأرض والدم يسيل منهما، فلما تأكد جحا أنهما لا يستطيعان القيام هرب بنقوده وتركهما .

مكيدة للص

جلس جحا في المقهى ، فلاحظ أن بجواره لصاً يراقبه فأراد أن يدبر له مكيدة، ورغم أنه لم يكن في بيته شئ فإنه أخذ يبالغ في كلامه ، ويدعي أن عنده كثيراً من الذهب والنقود ، واللص يسمع جحا، وفي الليل ذهب اللص إلى منزل جحا طامعاً في ماله راغباً في سرقته

وفتش كل الحجرات ولم يجد شيئاً يستحق السرقة، وكان جحا مختبئاً كي لا يراه اللص، واغتاظ اللص اغتياظاً شديداً فوقف يلعن جحا ويشتمه، ولما أراد الخروج وجد جحا واقفاً بالقرب من الباب حيث خرج من مخبئه فخزي اللص وشعر بالحرج ، لكن جحا رحّب به فسكت اللص واتجه ناحية الباب ليخرج قال له جحا : اقفل الباب من فضلك لئلا يدخل اللصوص، ويسرقوا ما عندنا من الذهب والنقود فقال اللص : لعنة الله عليك يا جحا ما أطمعني فيك إلا كلامك هذا .

في بلدة اللصوص

وخرج ذات يوم طالباً للرزق ، وتصادف أن نزل ببلدة يبدو على أهلها كل مظاهر الورع والتقوى لأنهم كانوا يرفعون أصواتهم بالبكاء، وكان فيهم من يشدون لحاهم نادمين، ونزل متوقعاً منهم التقدير والاحترام ، لكنه بحث عن مصحفه فلم يجده ، فتملكه العجب من بكاء القوم الصالحين لنادمين، لكنه أدرك أنه في مدينة اللصوص فقال : إذا كنتم جميعاً تبكون من خشية الله إذن فمن ذا الذي سرق مصحفي .

عندما هدد جحا

وخرج من هذه البلدة يحمد الله إنهم لم يسرقوا خَرْجه الذي كان يحمله، ربما كان في نيتهم أن يفعلوا ذلك ، وأسرع جحا يبتعد عن هذه البلدة، وساقته قدماه إلى بلدة أخرى ، لكن حظه العاثر أوقعه في لصوص أخرين سرقوا خَرْجه الذي يضع فيه ما يلزمه ، ويحمله علي كتفه ، فلما بحث عنه ولم يجده، صاح فيهم مهدداً متوعداً ويقول :

ابحثوا عن خرجي وإلا عرفت ماذا أصنع ،فبحث أهل البلدة عن خرجة وأخيراً وجدوه عند جماعة من اللصوص، فأحضروه، ثم سأله أحدهم إذا لم نجد خرجك فماذا كنت تصنع ؟

فقال جحا بهدوء : عندي بساط قديم كنت أنوي أن أعمل منه خرجاً .

بلدة ظالمة

وتمضي مسيرة جحا ، يخرج من بلدة ليصل أخرى ، يمضي في أسواقها بعض الوقت يكتسب رزقه من التجارة، ووصل بلدة نزل السوق الكبير بها، وحين انتهى من عمله نادي حمالاً ليحمل عنه ما اشتراه من متاع، وأعطاه أجره مقدماً إكراماً له وعطفاً عليه، ولكن الحمال الخبيث غافله وهرب وانطلق جحا يسأل الناس عنه فوجد منهم سخرية عجيبة، واستهزاء

أعجب واتهموه بالغفلة والغباء، وأظهروا استحسانهم لما فعله الحمال ووصفوه بالذكا، ولم يجد منهم أحداً ينصفه، ويلوم الحمال الخبيث الذي سرق مال غيره ، ولم يجد منهم من يساعده في البحث عن الحمال ، وصبر جحا ولم يكن أمامه إلا الصبر دائماً، واستمرت إقامته في المدينة الظالمة عشرة أيام حيث كان أمامه ارتباطات واتفاقات في البيع والشراء ، وفي نهاية المدة بينما كان يسير خارجاً من المدينة جذبه أحد الناس وصاح :

يا جحا هذا هو الحمال الذي تبحث عنه والذي سرق متاعك، وإذا بجحا يسرع مختبئاً كي لا يراه الحمال ، فتعجب الناس وقالوا لجحا :

أوليس هذا هو الحمال السارق؟ كيف تترك لصاً سرق متاعك وتهرب منه ؟

فقال جحا : أخشى أن يدعى الحمال أنه حمل متاعي عشرة أيام ويطالبني أجره، وهو إذا صنع ذلك بينكم وفي بلدكم الظالمة ستكونون له مصدقين.

اللص الحمار

وعاد جحا إلى بلده بعد أن تعب من السفر ولم يكن السفر هو الذي أتعبه، وإنما أتعبه مضايقات اللصوص، وعدم انصاف الناس له، ورأى أنه في حاجة إلى حمار يساعده في عمله ودبر المال اللازم لشراء الحمار، وذهب إلى السوق وتخير حماراً قوياً فاشتراه، وسحب الحمار عائداً إلى بيته وحين وصل إلى هناك التفت خلفه فذهل لما رأى ، لقد رأى شاباً

مربوطاً في الحبل ويسير خلفه وبدلاً من أن يسحب حماراً ، وجد نفسه يسحب رجلاً، ذلك أن اللصوص حينما رأوه يسير ذاهلاً في الطريق لكثرة همومه، استغلوا الفرصة وأمسكوا واحداً منهم وربطوه في الحبل الذي يسحبه جحا بعد أن حلوا منه الحمار وجحا يسحب الشاب وما يدري ، ويعتقد أن الحمار يسير من خلفه.

وتوجه جحا إلى الشاب متأملاً في ذهول فبادره اللص قائلاً :

لا تعجب يا سيدي ... فأنت لم تشتر حماراً ، فقال جحا كيف ؟ أنا اشتريت اليوم حماراً وكنت أسحبه أين ذهب ؟

قال الشاب اللص : انتظر يا سيدي حتى أكمل حديثي فأنا شاب كنت أعصي أمي وأسيئ إليها فتوجهت إلى الله شاكية ، ثم دعت عليّ الله فمسخني حماراً، ثم ذهبوا إلي السوق فباعوني واشتريتني أنت، ولكني تبت إلى الله وندمت وتوجهت إليه راجياً أن يغفر لي ويعفو عني فأعادني كما كنت، وأنا إن شا الله سأكون خيّراً .

تألم جحا لحال الشاب ورأى أنه أظهر كرامة مثلما أظهرت أمه كرامة، فلقد دعت أمه ربها فجعلته حماراً، أما هو فقد دعا ربه فأعاده إنساناً .. وحمد الله جحا أنه اكتشف الحقيقة قبل أن يتعبه في العمل ، وحمد الله أكثر لأنه لم يركبه في طريق عودته ثم ترك الشاب ينصرف .

وبعد اسبوع ذهب جحا إلى السوق مرة ثانية كي يشتري حماراً بدل الحمار السابق، فوجد حماره الذي اشتراه من قبل فتقدم إليه وجعل فمه في أذنه وقال له :

يا شؤم عُدت إلى عقوق أمك ألم أقل لك لا تغضبها ؟ إنك تستحق ما حل بك .

جحا يسترد الحديد من اللص

أراد جحا السفر إلى مكان بعيد ، وكان عنده حديد كثير، فتركه أمانة عند جاره، ولمّا رجع من السفر طلب من جاره الأمانة التي عنده فقال :

أنا أسف يا جحا لأن حديدك أكلته الفئران فدهش جحا وقال :

ياشيخ اتق الله ، هل تاكل الفئران الحديد ، فقال الجار : نعم هذا هو ما حدث وإن أردت أن تتأكد تعالَ معي إلى المخزن لترى أن حديدك قد أكلته الفئران.

ففكر جحا ثم قال : أنت صادق على أي حال ، إذ إن الفئران تأكل الحديد كما تأكل السمن والسكر والعيش مادامت في بيتك والأمر لله.

وبعد أيام تربص جحا بأحد أطفال الجار وأخذه معه وأخفاه في منزله، وبحث التاجر عن ابنه ولم يجده فجنّ جنونه، وفي اليوم التالي حضر جحا إلى منزل جاره وقال له :

يؤسفني يا صديقي ضياع ابنك، ومما يزيد في أسفي أنه لن يرجع إليك، فصاح التاجر قائلاً من أين عرفت قل لي ؟ فقال جحا

إني قد رأيت عصفوراً يخطفه ويطير به، فهز التاجر كتف جحا وقال

العصفور يخطف طفلاً ؟ ياشيخ اتق الله وقل كلاماً غير هذا.

فاتبسم جحا وقال :

وأنت ياشيخ اتق الله وقل كلاماً غير هذا فقال الجار : وماذا قلت ؟

فقال جحا · لقد قلت إن الفئران أكلت حديدي فعرف الجار أن جحا خطف الولد كما أنكر هو الحديد، فقام إلى مخزن كبير تحت الأرض وسلمه الحديد ، وهو يقول «يالك من عصفور ماكر»

هات ابني كما أخذت حديدك .

يهزم اللص

دخل لص منزل جحا وسرق بعض أثاثه ، ولمّا خرج اللص حمل جحا بقية أثاث بيته، وكان قليلاً، وخرج وراء اللص.

وعندما دخل اللص داره نظر خلفه فوجد جحا ، فقال :

ماذا تريد يا رجل ؟

فقال جحا :

أريد أن انتقل من منزلنا إلى منزلكم، أنت أخذت جانباً من الأثاث وأنا أحمل الباقي ، وإن شاء الله غداً حين تطلع الشمس سأحضر زوجتي وأولادي ونسكن معكم ، إنهم سيفرحون كثيراً عندما ينتقلون من بيتنا الخرب فتحير اللص ثم قال :

خذ مالك وأرحني من شرّك



الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٣
الفصل الأول :	
جحا الحكيم	٥
الفصل الثانى :	
جحا الظريف	٢١
الفصل الثالث :	
جحا مع زوجته	٣٧
الفصل الرابع :	
جحا مع الحاكم	٥٣
الفصل الخامس :	
جحا والقضاة	٧٣
الفصل السادس :	
جحا واللصوص	٩١